هادی المدرسی

بنیاد پژوهشهای اسلامی
آستان قدس رضوی

الردّ علی...

آیات الشیطانیة

BOBST LIBRARY
3 1142 01482 7128
Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

AM 0007083 Code I-AR-89-933613

29 NEW YORK UNIVERSITY

DATE DUE	DATE DUE
NEW YORK UNIVERSITY BOBST LIBRARY CIRC APR 2 9 1991 CIRC 70 WASHINGTON SQ. S. NEW YORK, N.Y. 10012 APR 0 6 1992	NEW YORK UNIVERSITY BOBST LIBRARY CIRC DEC 2 0 1991 CIRC 70 WASHINGTON SQ. S. NEW YORK, N.Y. 10012
NEW YORK UNIVERSITY BOBST LIBRARY CIRC SEP - 9 1992 CIRC 70 WASHINGTON SQ. S. NEW YORK, N.Y. 10012	
	RETURNED JUN 17 2002 DUE DATE JUL 10 2002 Bobst Library Circulation

Mudarrisi, Hādī
/"al-Radd ʿalá..." "al-Āyāt al-shayṭāniyah"/

هَادِي المُدَرِّسِي

الرَّدُّ عَلَى ..

« الآيَاتِ الشَّيْطَانِيَّة »

آستان قدس

PR
6068
.U757
S2835
1989

PR
9499
.3
.R8
S2835
1989
c.1

الکتاب : الرد علی الایات الشیطانیة
المؤلف : السید هادی المدرسی
نشر : مجمع البحوث الاسلامیة ـ ایران ـ مشهد ـ ص ب ۳۶۶ـ۹۱۷۳۵
الطبعة الاولی : ذوالحجة ۱۴۰۹ هـ.
العدد : ۵۰۰۰ نسخة
الطبع : مؤسسه الطبع و النشر فی الاستانة الرضویة المقدسة

حقوق الطبع و الترجمه محفوظه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ

غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ

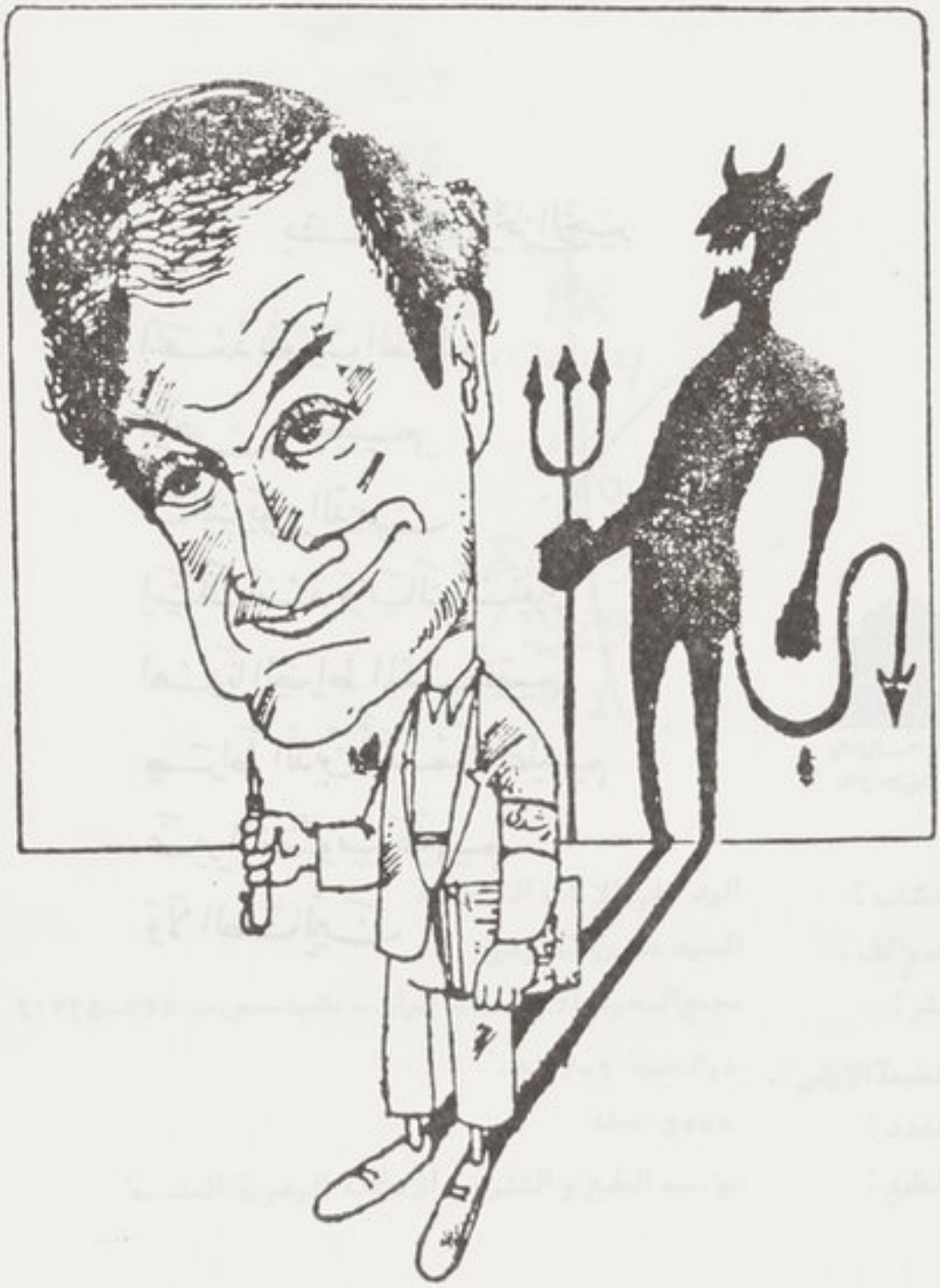

دعاء ..

الحمد لله ..

والصلاة على رسول الله ، امين الله على وحيه ، وعزائم امره ، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل ، والمهيمن على ذلك كله ..

وعلى اهل بيته الطاهرين ..

واصحابه المنتجبين ، ورحمة الله و بركاته .

.. اللّهم اني آمنت بمحمد (ص) ولم أرَه ، فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته ، وارزقني صحبته ، وتوفني على ملّته ، وأسقني من حوضه مشرباً رو ياً سائغاً هنيئاً لا أظمأ بعده ابداً انك على كل شيء قدير .

.. اللهم اني آمنت بمحمد (ص) ولم أرَه فعرّفني في الجنان وجهه ..

.. اللهم بلّغ محمداً (ص) مني تحية كثيرة وسلاماً يا ارحم الراحمين .

هدى من القرآن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« ان الله ، وملائكته يصلّون على النبي ..

« يا ايها الذين آمنوا ..

« صلّوا عليه ، وسلّموا تسليماً (الأحزاب ــ ٥٦)

* * *

« ومنهم الذين يؤذون النبيّ ..

« والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم (التوبة ــ ٦١)

* * *

« ولئن سألتهم .. ليقولّن : انما كنّا نخوض ونلعب !

« قل : ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ؟ (التوبة ــ ٦٥)

المقدمة

إنني من احفاد النبي محمد ــ صلى الله عليه وآله وسلّم ..

ولكنّني لا اكتب رداً على «الآيات الشيطانية» من أجل ذلك فحسب، وانما لأنني وجدت في هذا الكتاب تجنياً على الحقيقة، وتطاولاً على القيم الروحية، واستغلالاً لحرية التعبير ضد حرّية المعتقد.

وللرأي ضد الأيمان.

ولحقوق الانسان ضد حقوق الناس.. كما أن فيه استخداماً لنعم الله من قبل شخص عاص، للنيل من كرامة المؤمنين به..

فكان لابّد لي أن أرد..

غير ان الكتاب ليس رداً ــ بالمعنى الحرفي للكلمة ــ لأنّني لن اسّف الى المستوى الذي اسف اليه سلمان رشدي، في السب والشتم والكذب و الافتراء.

وانما هو مجرد توضيح لبعض النقاط التي يجب توضيحها في هذا الموضوع.. والاّ فان التاريخ لن يكتب عن هذا الكتاب وعن مؤلفه غير سطر واحد «ان الرجل سب الأنبياء والصدّيقين، فتألم الناس لذلك، وأحتجوا عليه...» ولن يكون له موقع آلا في مقدمة الشحّاذين في العالم.

وانني استميح القارىء عذراً اذا نقلت بعض مقاطع «الآيات الشيطانية» في هذا الكتاب، فناقل الكفر ليس بكافر..

واستغفر الله لذلك، وهو من وراء القصد..

هادي المدرّسي

٦ / شعبان / ١٤٠٩هـ

حقائق

المقدمة

إلى من اهتدانا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

ولكنني لا أكتب رداً على «الآيات الشيطانية» من أجل ذلك فحسب، وإنما لأني وجدت في هذا الكتاب [illegible] على الحقيقة، و[illegible] على [illegible] الموضوعية، واستغلالاً لحرية التعبير هنا بحرية العبث.

والرأي عند الأعداء.

وحقوق الإنسان عند بعض الناس.. كما أنه [illegible] كل شخص عاقل [illegible] من كرامة [illegible]..

فكانا لابد في الأمر..

[illegible] الكتاب ليس رداً [illegible] الكلمة [illegible]

[illegible] والنثر والكذب و[illegible].

وإنما هو محاولة لتوضيح بعض النقاط التي يجب توضيحها في هذا الموضوع.. [illegible] هذا الكتاب [illegible] الأنبياء والصالحين [illegible] الناس [illegible] ولن يكون له موقع إلا في [illegible] في العالم.

[illegible] الآيات الشيطانية [illegible] هذا الكتاب [illegible] الكفر [illegible]..

وأستغفر الله [illegible] وهو من وراء القصد..

هادي المدرسي

٩ / شعبان / ١٤٠٩هـ

١

هنالك ثلاثة حقوق تتداخل بعضها في بعض ، و يكمّل بعضها بعضاً :

حقوق الله .. ومنها حقه في ان يعبد في الأرض .

وحقوق الناس .. ومنها حقهم في ان تحترم عقائدهم ، وتوجهاتهم .

وحقوق الانسان الفرد .. ومنها حقه في ان يفعل وان يقول ما يؤمن به ، من غير ضغط او تطاول ، أو مصادرة ..

وقديماً ، في العصور الوسطى ، صودرت حقوق الناس ، وحقوق الانسان باسم حقوق الله ..

وفي العالم الشيوعي ، صودرت حقوق الله وحقوق الانسان باسم حقوق الناس ..

فهل يجوز اليوم ان تصادر حقوق الله ، وحقوق الناس باسم حقوق الانسان ؟

ان هنالك من يؤمن بان « مالله ، لله . وما لقيصر لقيصر » فهل يجوز ان نصادر « مالله » لنعطيه ، ليس لقيصر ، بل لشحاذ مثل سلمان رشدي ؟

٢

ما دمنا نسعى لتجنب العنف والأرهاب ، فان من الضروري ان نمنع تلك الشرارات التي تؤدي ، من حيث نريد ، او لا نريد ، الى العنف والارهاب .

فانت اذا قمت بسب الآخرين ، فلا بدّ ان تتوقع ردة فعلهم ، وهي قد تكون سباً بسب ، ولربما كانت صراخاً مع سب ، وقد يضاف اليها صفعة قوية ايضاً ..

أليس من الأسهل اذن ، ان نتجنّب ردات فعل الآخرين بان نمتنع من اثارتهم على باطل ؟

٣

في البدء كان الكلمة ..

ولكنها حتماً كانت كلمة طيبة . اذ لو كانت كلمة خبيثة ، فانها بلا شك لم تكن تنتهي الى اي شيء .

افليست هذه الحضارة العظيمة التي نعايشها هي نتاج كلمات الخيّرين من البشر ؟

ام ترى انها كانت نتاج سباب اولاد الشوارع ، وشتم الدجالين والمصلحيين ؟

٤

ليس من الصحيح اختلاق معركة وهمية بين « الحرية الشخصية » و بين « القيم التي جاء بها الانبياء » ..

ان الحرية ، والعدالة ، والصدق واحترام الآخرين والايمان ، والقيم الرّوحية ، هي بمجموعها أساس الحضارة ، وان فقدان واحدة من هذه القيم يعني وجود ثغرة واسعة قد تؤدي الى سقوط الحضارة كلّها ..

٥

ان المؤمنين بالله ، يعتقدون ان إيمانهم ليس رخيصاً ، والحفاظ عليه ليس سهلاً ، لانهم اساساً لم يحصلوا عليه إلّا بالتضحيات الجسام ..

من هنا فان المؤمنين يشعرون ان ايمانهم يتعرض ، بين فترة وأخرى للتهديد . ولكنه قد لا يكون تهديداً بالقمع ، والقتل ، بل بالنظرية والفكر ..

اليست النازية نظرية ؟

اليست العنصرية نظرية ؟

فكيف يمكن الطلب من المؤمنين أن يصمتوا على تطفل المتطفلين ، من الكذبة ، والسبابين ؟

٦

اي شيء يبقى لنا اذا نسفنا قدسية الأنبياء وسمحنا لأنفسنا بالتطاول عليهم ، والافتراء على تعليماتهم ؟

ان « فراغ القوة » في الرّوح اشد خطراً من « فراغ القوة » في السياسة .

وسحق الضمير يؤدي الى فقدان وخزاته ، ومن ثم دفع صاحبه الى الظلم بدم بارد ، والقتل بدم بارد ، وارتكاب كل الجرائم بدم بارد ..

وان مهمّة السياسيين ، بالاضافة الى اهتماماتهم بملء فراغات القوة في الجانب السياسي ، ان يمنعوا فراغ القوة في الجانب الروحي ايضاً ..

٧

ان اي مجتمع يعيش على الكذب يجعله ضعيفاً جداً في وجه الحقيقة . وان كلمة واحدة عن الحقيقة في مجتمع مثل هذا سيكون بمثابة شعلة تلقى في برميل بارود . وان اكذب الكذب هي الكذب على الأنبياء .. لاننا اذا لم نحافظ على حرمة الانبياء فلن نحافظ على حرمة أحد ، واذا سمحنا لاي فرد ان يكذب على النّبي ، واعطيناه على ذلك جائزة مادية ، وحماية معنوية ، افليس نشجّع على خلق مجتمع من الكذبة ؟

٨

ان الحرية لا تتجزأ .. وهي متساوية للجميع ، وليس لأحد في ان يتطاول على حريات الآخرين باسم حرّيته الشخصية .

وان الحرّية لا تتلخص في حرية السفر ، والكتابة ، وابداء الرأي ، وممارسة الجنس ــ كما قد يراها البعض ــ بل انها تشمل ايضاً حرية المعتقد ، وحرية العبادة ، وحرية الايمان ..

وحرّية ان لا اتعرض للاتهام ، والأستهزاء اذا مارست حرّيتي ..

ان هنالك اكثر من ٨٥٠ مليون انسان ــ فيهم الطبيب والمهندس ، والمفكر والصحفي ، والكاتب ورجل الدين ، والطالب ، والعسكري ، والرئيس ، والخبير الاقتصادي ، وكل فئات المجتمع ــ يؤمنون بالله رباً ، وبمحمد نبياً ، و بالكعبة قبلة ، و بالقرآن وحياً من الله ، و بالملائكة كمقدسين ، فهل يجوز ان نتهمهم جميعاً بان عبادتهم هي ممارسة العهر ، وان نبيّهم مجرد كذّاب ، وان « قرآنهم » آيات الشيطان ، وان كعبتهم بيت دعارة ، وان ربهم إبليس ؟

٩

لقد قال ماركس « الدّين افيون الشعوب » .

ترى ماذا يختلف كلام رشدي عن هذا الكلام إلّا اللّهم ، ان هذا الأخير وضع كلامه في قالب اكثر قذارة ، وأفظع محتوى ولكنّه اقل شجاعة ، حيث وضع كلامه في قالبٍ سريالي رمزي ..

١٠

اننا بحاجة الى الايمان ، كما اننا بحاجة الى الأمن ، وكلاهما ارضية التطور في المجتمع الصالح . ان الايمان كفاح الروح ، كما ان الامن كفاح الجسد وكلاهما كفاح مقدس ..

وان الحرّية الايمانية يجب ان تبقى آمنةً حيثما وجدت . آمنة ضد العدوان الفكري . كما يجب ان تبقى آمنة ضد القمع ..

١١

هنالك خير وشر .

وكما يدعي سلمان رشدي ، فان كتابه يدور حول هذه الفكرة والسؤال هل ان عمل رشدي هو خير أم شر ؟

وهل هو عمل لاجل الخير ، أم لاجل الشر ؟

وهل نتيجته جاءت خيراً ام شراً ؟

تلك اسئلة لا بد من الاجابة عليها قبل الحكم للرجل او عليه ..

واعتقد ان الاجابة عليها باتت واضحة لا تحتاج الى توضيح ..

١٢

ان التعالي مرفوض ، وفي عالم التفاهم يجب على كل طرف ان يحترم قيم الاطراف الاخرى ، كما ان عليهم ان يحترموا قيمه . ولا بدّ ان نعرف ان « القيم » عند البعض مثل « القانون » لدى الحكومات ..

فاذا كان قانون بريطانيا مثلاً يحدّد حرية فرد معيّن و يأمر باعتقاله لمخالفته للقانون ، فان على اي فرد ان يحترم قيم الآخرين .. امّا اذا لم يفعل فانّ حرّيته تبقى غير محترمة ..

ثم كيف يمكن التفاهم بلا احترام متبادل ؟

ان كتاب « الآيات الشيطانية » يتعرض بالاستهزاء والدّس والإفتراء للايمان بالله ، كما يتعرض للايمان بالأنبياء وللايمان بتعليمات الرّسل ..

وهي عند كثيرين قدس الاقداس ..

كما ان الحرية الشخصية عند البعض قدس الاقداس ..

فكيف يكون « قدس اقداس » البعض محترماً ، و « قدس اقداس » الآخرين مباحاً ؟

تساؤلات ..

فاذا كان قانون بريطانيا مثلاً يقرر حماية فرد معين و يأمر باحترامه احترامه للقانون ، فانا على اي فرد ان يحترم ليس الآخرين .. انا اذا لم يفعل فان حريته ليس غير محترمة ..

ثم كيف يمكن التفاهم بلا احترام متبادل ؟

ان كتاب « الآيات الشيطانية » يتعرض بالاستهزاء والسب والافتراء للإيمان بالله ، كما يتعرض للأنبياء « الأنبياء » والاحاطة بمقدسات الرسل ..

وهي عند كثيرين قدس الأقداس ..

كما ان الحرية الشخصية عند البعض قدس الأقداس ..

فكيف يكون « قدس الأقداس » البعض محترماً ، و « قدس اقداس » الآخرين مباحاً ؟

ـ هل يحق لكاتب او مؤلف ان يقف في وسط الشارع ليسبّ و يتهم احد المارّة بالكذب والدّجل أو بالسرقة والاعتداء ، في قالب قصيدة شعرية أو مقطوعة ادبيّة ، ثم لا يحق للمعتدى عليه ان يرد عليه او يتقاضاه لمجرد انّه اديب أو قصاص ، وان اتهاماته جاءت في اسلوب ادبي محظ ؟!

واذا لم يكن ذلك وارداً ، أفهل يحق لأيّ مؤلف ان يتناول بالسب والافتراء الانبياء والرّسل ، وكل الصدّيقين في التاريخ ؟

ثم اذا كان شرف الشخص الواحد مقدساً لا يجوز التطاول عليه ، فكيف يكون شرف امّة مؤمنة باكملها ، مباحاً لكل من هب ودبّ ، تحت شعار حرية المعتقد ؟

بالطبع لا يمكن الا ان نكون في صف حرية الرأي وحرية التعبير ولكن هل هذه الحرية مطلقة تبيح لأي كاتب ان يسعى لتشو يه صورة من يشاء ، حتى ولو كانت تلك الشخصية بحجم النبي محمد ، او ان يسعى لتشو يه دين ، حتى ولو كان هذا الدين بحجم الديانة الاسلامية ؟

ـ ثم هل مهمة الأدب ، تجميل الحياة وكشف روعة مكنوناتها ، ام ان الهدف منه تشو يه القيم والمثل والاديان وحملة الرسالات ؟

ـ هل الحرية تعني ان يصور محمد كما صور في « الآيات الشيطانية » وأن يصور المسيح كما صور في فيلم « الاغراء الأخير للمسيح » ، وأن يصور موسى كما صوره « ميل بروكس » في فيلمه الشهير ؟

ـ ثم ما قيمة الحضارة البشرية ، اذا ما نجح كتاب معينون ـ تحت حماية « حرية التعبير عن الرأي » ـ في تشو يه مثل هذه الحضارة وقيمها وشخصيات بناتها ؟

ـ واذا كان من حق اي كاتب مناقشة اي من العقائد او المفاهيم ، مهما تطرف في تفسيراته ، فهل ان من حقّه القاء التهم يمنة و يسرة وتلفيقها ، واهانة

هذه العقائد وقادتها ؟

ــ وهل هنالك فرق بين النقد والافتراء ؟

ــ وكيف تجيز دول كثيرة بما فيها بريطانيا ان تفرض قيوداً على صدور العديد من الكتب بحجة أنها تمس هيبة الدولة ، ثم تسمح بنشر الكتاب الذي يمس هيبة ديانة عظيمة تحت غطاء حرية التعبير ؟

ــ واذا كان الدفاع عن الحرية أمراً مقدساً ، أليس الدفاع عن رموز الحضارة البشرية ــ اساس هذه الحرية ــ أمراً أشد قداسة . ؟

ــ ثم لماذا اختيار النبي محمد (ص) وإختيار العقيدة الأسلامية في تصوير الصراع بين الخير والشر ؟

ــ وأخيراً هل لنشر هذا الكتاب ارتباط بمحاولات قمع الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت تهز الضمير العربي الراقد منذ نصف قرن ؟ واخماد الصحوة الاسلامية ؟

لماذا يقدّس المسلمون رسول الله ؟

للنبي محمد (ص) قوة لاتقهر في هذه الأرض، وهي قوة ذات تأثير يومي في حياة المسلمين، كما انها ذات تأثير سياسي على مجمل الأحداث الدولية..

وقد برزت هذه القوة مؤخراً في قضيتين:

الأولى ــ في قضية افغانستان. حيث احرز المجاهدون الافغان انتصارهم على القوات الأجنبية مدفوعين بروح رسول الله (ص)ــ، وبمنهج الأسلام الذي جاء به من قبل الله..

الثانية ــ في ردة الفعل العارمة، والتعبئة الروحية التي حدثت على المستوى العالمي ضد التطاول على شخصية النبي، وشخصية صحابته..

وفي الحقيقة فان الذين وقفوا وراء تأليف ونشر كتاب «الايات الشيطانية» نسوا ان اللعب بنار الأديان السماوية، ليست عملية سهلة. فاذا كان البعض لايحترم نفسه، فان المؤمنين بالله يحترمون مقدساتهم.. خاصة وان هؤلاء المؤمنين ليسوا على باطل لكي يخشوا الحق، ولا هم في قلة لكي يخشوا الآخرين..

انّ الاسلام صرح حضاري لن ينهار بتناوش المتطفلين عليه..

فالاسلام اعظم من ان يهدده كتاب..

والمسلمون عدد متزايد، ينتشر في كل دولة ومدينة وقرية. وقد افاد الديموغرافيون الاميركيون مؤخراً ان عدد المسلمين في العالم قد يتضاعف في غضون الفترة الممتدة حتى العام ٢٠٢٠ ــ فترتفع نسبة المسلمين من ١٨٪ الى ٢٥٪ من سكان العالم.

«واشار الخبراء في تقرير لهم نشر بتاريخ ١٩٨٩/٢/١٧م في واشنطن الى ان المسلمين يتمتعون بمعدل التزايد الاكثر ارتفاعاً بين سائر الاديان.

«وتفيد التقديرات ان في العالم اليوم ٩٨٠ مليون مسلم من اصل ٥,٢ مليارات نسمة. وحسب التوقعات للعام ٢٠٢٠ فسوف يرتفع عدد سكان العالم

الى ٨,٦ مليارات نسمة في حين سيكون عدد المسلمين قرابة مليارين [١] ..

و يكفي ان نعرف ان عدد احفاد رسول الله ، من الذين ينتسبون اليه ، يتجاوز العشرين مليوناً ، فلو انّهم شكلوا حلفاً لهم ، لزاد عدد المنتمين الى النبي بالنسب على عدد اليهود في العالم كلّه ..

ترى .. هل بعد ذلك يصّح ، أو يجوز، أو يمكن التطاول على قدسّية رسول الأسلام، وشتم أعراضه ؟.

ثم .. يجب ان لا ننسى ان المسلمين اذ يؤمنون برسول الله (ص) ويحبونه ، فليس ذلك عن جهل ، بل عن معرفة ودراية كاملتين ، فتاريخ النبي محمد (ص) ليس مجهولاً لديهم ، وهم يحفظون الكثير من قصصه ، وكلماته ، و يعرفون الكثير من التفاصيل عنه ..

وهم اذ يحبونه فلأنهم يجدون فيه «القدوة الحسنة» التي تثير فيهم الكوامن الخيّرة ، وتردعهم عن كل ما هو قبيح ..

ولابد انهم يصدمون من اعماقهم حينما يجدون ان من يعرفونه تمام المعرفة نقياً صالحاً ، يضرب به المثل في الشر !.

وان من عرف في التاريخ بالصادق الامين، يُضرب به المثل في الكذب والدجل !.

وان من يعرفونه مثالاً للزهد والتقوى والعبادة يُضرب به المثل في حب الجنس !.

وان من ضحّى للناس بحياته ، وحياة المقربين اليه، يُضرب به المثل في الأنانية !.

وقد يتساءل بعض الأجانب عن هذا التعلق الرائع بالنبي محمد (ص)

---

(١) السفير العدد ٥٢١٩ ـ ٤ آذار ١٩٨٩

من قبل المسلمين .. ولذلك فنحن نورد بعض صفاته (ص) هنا وهو نموذج بسيط عن عظمة هذا النبي في روحه واخلاقه ومواقفه واعماله، وهي عظمة ترغم الانسان على ان يُطأطأ لها رأسه اجلالاً، و يعشقها بضميره و وجدانه.

انها البطولة في احلى صورها.

والكرامة في انقى جواهرها.

والحب في اصفى مراميه.

والخير في اوسع معانيه.

فكيف كان رسول الله ؟ وماذا يقول التاريخ عنه ؟

والجواب :

قال عنه صهره، وابن عمه، امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) :

« مستقره خير مستقر، ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة، ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار، وثنيت اليه ازمة الابصار دفن الله به الضغائن، وأطفأ به الثوائر، الف به اخواناً، وفرق به اقراناً، اعز به الذلة، وأذل به العزة، كلامه بيان، وصمته لسان » (١)

« وكان (ص) نبيا أميناً، صادقاً حاذقاً، اصيلاً نبيلاً، مكيناً فصيحاً، نصيحاً، عاقلاً فاضلاً، عابداً زاهداً، سخياً مكياً، قانعاً متواضعاً، حليماً صبوراً، موافقاً مرافقاً ».

« لم يخالط منجماً ولا كاهناً ولا عياضاً، ولما قالت قريش : (انه ساحر)، علمنا انه قد اراهم مالم يقدروا على مثله، وقالوا : (هذا مجنون) لما هجم منه على شيء لم يفكر في عاقبته منهم وقالوا : (معلّم) لانه قد انبأهم بما يكتمونه من اسرارهم ».

(١) الدليل على موضوعات نهج البلاغة ص / ٢٢٤

«فثبت صدقه من حيث قصدوا تكذيبه، وكان فيه خصال الضعفاء، ومن كان فيه بعضها لا ينظم امره: كان يتيماً فقيراً، ضعيفاً وحيداً غريباً، للاحصار ولا شوكة كثير الاعداء ومع جميع ذلك تعالى مكانه، وارتفع شأنه فدل على نبوته».

«وكان الجلف (الغليظ) البدوي يرى وجهه الكريم فيقول: والله ما ها وجه كذاب».

«وكان (ص) ثابتاً في الشدائد وهو مطلوب، وصابراً على البأساء والضراء وهو مكروب محروب، وكان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، فثبت له الملك، وكان يشهد كل عضو منه على معجزة»[1].

° ° °

وقال واصفوه....

كان رسول الله (ص) يتطيب بالمسك حتى يرى وميضه في مفرقه، وكان يستجمر بالعود القماري، وكان ينفق على الطيب اكثر مما ينفق على الطعام، وكان لا يتعرض عليه طيب الا تطيب به و يقول: **«هو طيّب ريحه، خفيف محمله»** فكان يعرف بالطيب اذا أقبل.

وكان (ص) ينظر في المرآة و يرجل جمته ويمتشط، وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه. ولقد كان يتجمل لاصحابه فضلاً على تجمله لاهله، وقال ذلك لعائشة حين رأته ينظر في ركوة ماء في حجرتها و يسوي فيها جمته وهو يخرج الى أصحابه.

فقالت: بأبي انت وأمي. تتمرء في الركوة وتسوي جمتك وانت النبي وخير خلقه؟

---

(١) البحارج / ١٦ ص / ١٧٥

فقال (ص) : **« ان الله تعالى يحب من عبده اذا خرج الى اخوانه ان يتهيأ لهم و يتجمل »** .

وكان لا يفارقه في اسفاره قارورة الدهن والمكحلة والمقراض ، والمرآة والمسواك والمشط ،وكذلك الخيوط والابرة والمخصف والسيور .

وكان يدهن شعره و يكره الشعث ، و يقول : **« ان الدهن يذهب بالبؤوس »** .

وكان (ص) اذا لبس ثوباً جديداً قال :

« الحمد لله الذي كساني ما يواري عورتي ، واتجمل به في الناس » .

وكان (ص) اذا لبس ثيابه واستوى قائماً قبل ان يخرج ، يقول :

« اللهم بك استترت ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، وعليك توكلت ، اللهم انت ثقتي وانت رجائي ، اللهم اكفني ما اهمني ، وما لا اهتم به ، وما انت اعلم به مني ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، اللهم زودني التقوى ، واغفر لي ذنبي ووجهني للخير حيث ما توجهت » ثم يندفع لحاجته .

وكان له فراش من ادم حشوه ليف ، وكانت له (ص) عباءة تفرش له حيثما انتقل وتثنى ثنيتين ، وكان(ص) كثيراً ما يتوسد وسادة له من ادم حشوها ليف ويجلس عليها وكانت له قطيفة فدكية يلبسها يتخشع بها ، وكانت له قطيفة مصرية قصيرة الخمل ، وكان له بساط من شعر يجلس عليه ، وربما صلى عليه .

وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره ، وكان يستاك اذا اراد ان ينام و يأخذ مضجعه .

وكان لا يذم ذواقاً ، ولا يمدحه ولا يتنازع اصحابه الحديث عنده .

وكان المحدث عنه يقول : لم أر بعيني مثله قبله ولا بعده .

وما نازعه الحديث حتى يكون هو الذي يسكت .

وما أكل متكئاً قط حتى فارق الدنيا .

وما رد سائلاً حاجة الا بها او بميسور من القول .

وكان اخف الناس صلاته في تمام .

وكان اذا أكل مع القوم كان اول من يبدء واخر من يرفع يده .

وكان اذا أكل ، أكل مما يليه ، فاذا كان الرطب والتمر جالت يده .

واذا شرب شرب ثلاثة انفاس كان يمص الماء مصاً ولا يعبه عباً .

وكان يستعمل يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه ، كان لا يأخذه الا بيمينه ولا يعطي الا بيمينه وكان يستخدم شماله لما سوى ذلك من بدنه .

وكان يحب التيمن في كل اموره في لبسه وتنعله وترجله .

وكان اذا دعا ، دعا ثلاثاً ، واذا تكلم ، تكلم وتراً ، واذا استأذن ، استأذن ثلاثاً .

وكان كلامه فصلاً يتبينه كل من سمعه ، واذا تكلم رأى كالنور يخرج من بين ثناياه واذا رأيته قلت أفلج الثنيتين وليس بأفلج .

وكان نظره اللحظ بعينه .

وكان اذا مشى كأنه ينحط من صبب .

وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله (ص) اذا مشى ، مشى مشياً يعرف انه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان » .

وكان (ص) اذا أكل الخبز واللحم خاصة ، غسل يديه غسلاً جيداً ثم مسح بفضل الماء الذي في يده وجهه .

وكان (ص) لا يأكل وحده ما يمكنه ، و يقول :

« الا أنبئكم بشراركم ؟ » .

قالوا : « بلىٰ » .

قال : « **من أكل وحده ، وضرب عبده ، ومنع رفده** » .

وكان (ص) اذا شرب بدأ فسمىٰ ، وحسا حسوة وحسوتين ، ثم يقطع فيحمد الله ثم يعود ، فيسمي ثم يزيد في الثالثة ثم يقطع فيحمد الله ، وكان له في شربه ثلاث تسميات وثلاث تحميدات ، ويمص الماء مصاً ولا يعبّه عباً ، و يقول : « **ان الكُباد من العبّ** » ، وكان (ص) لا يتنفس في الماء اذا شرب ، فان اراد ان يتنفس ابعد الاناء عن فيه حتى يتنفس .

وكان يشرب في الاقداح التي تتخذ من الخشب وفي الجلود ، و يشرب في الخزف و يشرب بكفيه يصب الماء فيهما و يشرب ، و يقول : « **ليس اناء اطيب من اليد** » .

وكان (ص) شديد الحياء والتواضع ، يخصف نعله ، و يرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، و يسير في خدمة اهله بسيرة سرية ، ويحب الفقراء والمساكين ، ويجلس معهم ، و يعود مرضاهم ، و يشيع جنائزهم ، ولا يحقر فقيراً اوقعه الفقر واشواه ، و يقبل المعذرة ولا يقابل احداً بما يكره ، ويمشي مع الارملة وذي العبودية ، ولا يهاب الملوك ، و يغضب لله تعالى و يرضى لرضاه ، ويمشي خلف اصحابه و يقول : « **خلوا ظهري للملائكة** » .

و يركب البعير والفرس والبغلة وحماراً ، و يعصب على بطنه الحجر من الجوع .

وكان (ص) يبدؤ من لقيه بالسلام ، و يتألف اهل الشرف ، و يكرم أهل الفضل ، ويمزح ولا يقول الا حقاً يحبه الله تعالى و يرضاه . .

وكان في بيته يشتغل في مهنة اهله : يقطع اللحم ، ويجلس على الطعام محقراً ، وكان يلطع اصابعه ولم يتجشأ قط ، يخدم نفسه و يَقُمّ البيت و يعقل البعير ، و يعلف ناضحه ، و يطحن مع الخادم و يعجم مع زوجته ويحمل بضاعته

من السوق و يضع طهوره بالليل بيده ، ويجالس الفقراء و يواكل المساكين و يناولهم بيده .

وكان يؤلف الناس ولا ينفرهم ، و يكرم كريم كل قوم ، و يوليه عليهم و يقول (ص) : ــ **« اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه »** .

ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احدٍ منهم بشره ولا خلقه ، يتفقد اصحابه ، و يعطي كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب جليسه ، ان احداً اكرم عليه ، من جالسه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس خلقه و بسطه ، فصار لهم اباً وصاروا عنده في الخلق سواء .

وكان يجيب من دعاه ، و يقبل الهدية ، ولو كانت كراعاً و يكافيء عليها ، يغضب لربه عزّوجل ولا يغضب لنفسه ، و ينفذ الحق وان عاد ذلك بالضرر عليه وعلى اصحابه .

عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين ، وهو في قلة ، وحاجة الى انسان واحد يزيد في عدد من معه ، فابى وقال : **« انا لا نستنصر من مشرك »** .

وكان (ص) دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب ولا فحاش ، ولا عياب ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يؤيس منه .(١)

وكان اوقر الناس في مجلسه ، لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه ، وكان خافظ الطرف ، نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، وكان اعف الناس ، واشدهم اكراماً لاصحابه لا يمد رجليه بينهم ، و يوسع عليهم اذا ضاق المكان ، لم يكن ركبتاه يتقدمان ركبة جليسه .

---

(١) راجع كتب السير

وكان كثير السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة ، يعرض عمن تكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسماً ، وكلامه فصلاً ، وكان ضحك اصحابه عنده التبسم ، توقيراً له واقتداء ، مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ، اذا تكلم اطرق جلسائه كانما على رؤسهم الطير .

وكان يجلس حيثما انتهىٰ به المجلس ، و يأمر الناس بذلك وكان (ص) يقول : « **أعطوا المجالس حقها** » قيل : « وما حقها » ؟

قال : « **غضوا ابصاركم ، وردوا السلام ، وارشدوا الاعمىٰ ، وامروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر** » .

وقال (ص) : « **اذا قام احدكم من مجلسه ، ثم رجع فهو اولى بمكانه** » .

وكان اذا بلغه عن احد ما يكرهه ، لم يقل ما بال فلان يقول او يفعل كذا ، ولكنه كان يقول : « **ما بال اقوام يصنعون كذا .. اويقولون كذا** » .. حتى لا يشهر باسم احد .

وكان فصيحاً حتى قال اصحابه لم نرَ من هو افصح منك يارسول الله .. فقال :

ــ « **وما يمنعني ؟ وانما القرآن بلساني ؟** » .

وقال (ص) : ــ « **أنا أفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش واسترضعت من بني سعد** » .

وكان (ص) اوجز الناس كلاماً ، و بذلك جاء جبرئيل ، وكان مع الايجاز يجمع كل ما اراد وكان يتكلم بجوامع الكلم ، لا فضول ولا تقصير ، كلامه يتبع بعضه بعضاً ، بين كلامه توقف يحفظه سامعه و يعيه ، وكان جهير الصوت ، احسن الناس نغمة ، وكان طو يل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول في الرضا والغضب الا الحق .

وكان يأخذ بالحديث مع اصحابه ، فعن زيد بن ثابت قال :

ـ « كنا اذا جلسنا الى رسول الله ، فأخذنا بحديث الآخرة ، اخذ معنا وان أخذنا بحديث الدنيا أخذ معنا ، وان اخذنا في ذكر الطعام والشراب اخذ معنا » .

وكان يتحدث مع الناس على قدر عقولهم و يقول : « **إنا معاشر الانبياء أمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم** » .

وكان اذا حدث الحديث ، او سئل عن امر كرره ليفهم ، و يفهم عنه ، وكان حلو المنطق لا هذر ولا نزر .

وكان يسبق الاخرين في السلام عليهم .

ولم يكن يهابه احد في مجلسه .

ولم يكن يختار مكاناً اذا دخل في المجلس ، وانما يجلس اين ما انتهى به المجلس .

وكان دائم التبسم ،

لم يكن يفتش عن عيب احد ولم يكن فحاشاً ولا سباباً ولا حقوداً .

وكان يقول : « ان الله يبغض الحقود البخيل الفحاش » .

ذات مرة ، احتدّ مع بعض اليهود فقال لهم :

« يا اخوان القردة والخنازير » .

فقال له احدهم :

« يامحمد ، ما عهدناك سباباً !؟

فاستحى رسول الله (ص) ، وارتجف ، حتى سقط الرداء من على كتفه ،

.. كان آخر من يغضب واول من يرضى ،

وكان يستجيب لاهل الحاجة ، و يقول :

« ابلغوني حاجات المساكين » .

.. كان الاقرب الى المستضعفين، ولا يحتجب عنهم، و يقول : «من ولى امراً من أمور المسلمين فاحتجب عن الضعفاء والمساكين، احتجب الله عنه يوم القيامة».

كان في منتهى السخاء والكرم.

سمع رجلاً متعلقاً باستار الكعبة وهو يقول :

«اللهم اغفر لي واني اعلم انك لن تغفر لي.

قال له النبي : «و يلك ما ذنبك ؟»

قال : ذنبي عظيم

فقال له النبي : «و يلك ذنبك اعظم ام الله.»

قال : لا .. الله اعظم واجل ..

فقال له النبي : ما ذنبك ؟

قال : «يا رسول الله .. انني رجل ثري، لكن لم يأتني صاحب حاجة الا وشعرت وكانه يقدم عليَّ بشعلة من نار.

فقال له رسول الله :

«اليك عني .. اليك عني، لا تحرقني بنارك .. فوالذي نفسي بيده، لو وقفت بين الركن والمقام، و بكيت حتى جرت من دموعك اودية وانت على هذه الحالة لم يغفر الله لك ذنبك.

لان الله يقول :

«ومن يوق شح نفسه»

كان خفيف المؤنة يجلس على حصير من الخوص،

وكان يركب ــ ربما ــ على البغل العاري، وربما اردف.

كان اليفاً مألوفاً، وكان يقول :

«لا خير في من لا يألف ولا يؤلف»

واذا لم يكن يرى احداً من صحابته ثلاثاً سأل عنه، فان كان مسافراً دعي له، وان كان مريضاً ذهب لزيارته في بيته.

كان يخصف نعله بيده، و يرقع ثوبه بنفسه، ويحلب عنزته..

لم ير وهو يمد رجله عند أحد، ولا أشار الى أحد باحتقار، ولم يُشر الى أحد باصبع واحدة، وانما بكل كفه..

كان اذا تحدث اليه احد، توجه اليه بجميع جوارحه، واذا تحدث مع احد توجه اليه بوجهه كلّه.

كانت للدماء عنده حرمة خاصة، فقد قال عنها:

«ان اول ما يحكم الله بين الناس يوم القيامة الدماء»

وكان يحفظ حرمة الناس كما يحفظ حرمة دمائهم. حتى انه جيء له بسارق، ومعه شاهد على سرقته

فقال له رسول الله للشاهد: «ما الذي رأيت»؟

قال الشاهد: «رأيته يسرق»

فقال له رسول الله: «هلا قلت رأيته يأخذ»؟

كان عادلاً، يحكم بعدل، يأمر بعدل، و يرني أصحابه على العدل و يقول:

«ساعة عدل عند الله، افضل من عبادة سنة»

وكان يقسم نظراته بين اصحابه بالسوية.

وكان يقول (ص): «من اعان ظالماً فقد برء من الله ورسوله»

ورأى ذات مرة جملاً يعاني من الجوع فقال:

«اين صاحبه، ابلغوه ان يستعد للمخاصمة يوم القيامة»

كان صادقاً فيما يقول، و ينفّذ ما يعد به..

ما قاله للناس في مكة المكرمة عمل به في المدينة، وما عمل به في المدينة لم يتجاوز سنة الله سبحانه وتعالى.

لم يغير ولم يبدل مما قال، كان يفعل فيقول ولم يكن يقول فيفعل
كان يحب الناس جميعاً، و يقول :
«ضع يدك على رأس من شئت فاحب له ما تحب لنفسك»
و يقول :
«خصلتان ليس فوقهما شيء من البر؛ الايمان بالله عزوجل، والنفع لعباده»
و يقول :
«الناس عيال الله وافضلهم عنده انفعهم لعياله»
وقال علي بن ابي طالب (ع) :

(ما انتصر نفسه من مظلمه حتى ينتهك محارم الله، فيكون حينئذ غضبه لله).[١]

وقال : (بعثه والناس ضُلاّل في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الاهواء، واستزلتهم الكبرياء، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء، حيارى في زلزال من الامر، و بلاء من الجهل، فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة، ومضى على الطريقة ودعا الى الحكمة، والموعظة الحسنة.[٢]

وقال : (اما بعد، فأن الله سبحانه بعث محمداً، صلى الله عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً، ولا يعدي نبوة ولا وحياً، فقاتل بمن اطاعه من عصاه، يسوقهم الى منجاتهم، و يبادر بهم الساعة ان تنزل بهم، يحسر الحسير، و يقف الكسير، فيقم عليه حتى يلحقه غايته، الا هالكاً لا خير فيه، حتى اراهم منجاتهم، و بوّأهم محلتهم، فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم).[٣]

لهذا كله، ولعشرات من امثاله .. يحب المسلمون نبيهم، فيفتحون نهارهم على ذكره، و يكررون الصلاة عليه عشرات المرات كل يوم، ولا يلمسون اسمه الا على طهارة .. و يتوسلون به الى ربهم صباحاً ومساءً.

(١) البحار ج ١٦ ص ٢٣٧ (٢) نهج البلاغة ص ١٤٠ (٣) نهج البلاغة ص ١٥٠

شيء ما عن اخلاق رسول الله (ص)

قال رسول الله (ص) :

« انا اديب الله ، امرني بالسخاء ، والبر ، ونهاني عن البخل والجفاء ، وما شيء ابغض الى الله عزوجل من البخل ، وسوء الخلق .. وانه ليفسد العمل كما يفسد الطين العسل » .

ولقد كانت الاخلاق الكريمة مجسدة في اعماله ومواقفه وعلاقاته ، فاذا بكل خطوة يخطوها تعبر عن مفردة من مفردات الخلق الرفيع ، مما يجعله الشاهد على من عاصره ، ومن يأتي بعده الى يوم القيامة ، الم يقل عنه ربنا في محكم آياته :

« يا ايها النبي انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً » واليكم بعض الشيء عن اخلاق رسول الله (ص) ، في صورة مواقف له هنا وهناك .

الرفق بالناس

روي ان اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال : ءأحسنت اليك ؟ فقال الاعرابي : لا .. ولا اجلت .

فغضب المسلمون ، وقاموا اليه ، فأشار اليهم ان كُفّوا .

ثم قام (ص) ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئاً ثم قال : « **ءاحسنت اليك** » ؟

قال : « **نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً** » .

فقال له النبي (ص) : « **انك قلت ما قلت وفي نفس اصحابي من ذلك شيء ، فاذا احببت فقل بين ايديهم ، ما قلت بين يدي حتى تذهب ما في صدورهم عليك** » .

قال : نعم ..

فلما كان الغدا والعشي ، جاء فقال (ص) : « **ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه فزعم انه رضي ، أكذلك** » ؟

قال : « **نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً** » .

فقال (ص) لأصحابه : « **مثلي ومثل هذا ، مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفوراً** » فناداهم صاحبها : « **خلّوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم** » ، فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها ... **واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه ، دخل النار**» . (١)

---

(١) كحل البصر .

وعن انس قال : « كنت امشي مع رسول الله (ص) وعليه برد نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه اعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسول الله (ص) ، وقد اثرّ بها حاشية الرّداء من شدّة جذبته .

ثم قال : « يامحمد ، مر لي من مال الله الذي عندك » ! فالتفت اليه فضحك ثم امر له بعطاء . (١)

وعن بحر السقا قال : « قال لي ابو عبد الله (ع) يابحر حسن الخلق يسر .

ثم قال : الا اخبرك بحديث ما هو في يدي احد من اهل المدينة ؟

قلت : بلى .

قال : « بينما رسول الله (ص) ذات يوم جالس في المسجد اذ جاءت جارية لبعض الانصار، وهو قائم فأخذت بطرف ثوبه ، فقام لها النبي (ص) فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي (ص) شيئا ، حتى فعلت ذلك ثلاث مرات ، فقام لها النبي في الرابعة وهي خلفه فأخذت هدية من ثوبه ثم رجعت ، فقال لها الناس :

« فعل الله بك وفعل ، حبستِ رسول الله ثلاث مرات لا تقولين له شيئاً ، ولا يقول لك شيئاً ، ما كانت حاجتك اليه ؟!

قالت : « ان لنا مريضا فأرسلني اهلي لآخذ هدية من ثوبه ليستشفي بها ، فلما اردت اخذها رآني ، فقام فأستحيت ان آخذها وهو يراني ، واكره ان استأمره في اخذها فأخذتها .

---

(١) ترغيب ج ٣ ص ٤١٩

الصدق وكراهية الكذب

روي انه كان ابغض الخلق اليه الكذب ، فكان اذا اطّلع على احد من اهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة .(١)

وعن عائشة قالت :

« ما كان من خلق ابغض الى رسول الله (ص) من الكذب ، ما اطلع على احد من ذاك بشيء ، فيخرج من قلبه حتى يعلم انه قد احدث توبة » .

وعن ابن عباس قال : « لما أُنزلت : وانذر عشيرتك الاقربين ، صعد رسول الله (ص) على الصفا فقال :

« يامعشر قريش » ، فأقبلوا واجتمعوا .

فقالوا :

ما لك يامحمد ؟

قال : **« أرأيتكم ، لو اخبرتكم ان خيلاً بصفح هذا الجبل اكنتم تصدقونني ؟**

قالوا : « نعم انت عندنا غير متهم وما جبرّبنا عليك كذباً قط !

فقال : **« فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، يابني عبد المطلب ، يابني عبد مناف يابني زهرة ، ــ حتى عدّد الافخاذ من قريش ــ ان الله امرني ان انذر عشيرتي الاقربين واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً الا ان تقولوا : لا اله الا الله »** .

---

(١) كنز العمال

فقال ابو لهب : «تباً لك سائر اليوم ! الهذا جمعتنا ؟!
فأنزل الله ، تبارك وتعالى : تبت يدا ابي لهب وتب . (١)

وقال عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله (ص) المدينة انجفل الناس اليه ، فجئت في الناس لأنظر اليه ، فلما رأيت وجه رسول الله (ص) اذا وجهه ليس بوجه كذّاب ، فكان اول شيء سمعته يتكلم به ان قال : (يا ايها الناس افشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا الارحام ، وصلّوا والناس نيام ، وادخلوا الجنة بسلام) . (٢)

وعن قتادة قال خطب رسول الله فقال : «ايها الناس ان الرائد لا يكذب اهله ، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم ، والله الذي لا اله الا هو اني رسول الله اليكم حقاً خاصة ، والى الناس عامة ، والله لتموتون كما تنامون ، ولتبعثون كما تستيقظون ، ولتحاسبون كما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احساناً ، وبالسوء سوءاً وانها الجنة ابداً ، والنار ابداً ...) . (٣)

---

(١) الطبقات ج ١ .
(٢) الترغيب ج ٢ ص ٦٤ .
(٣) البحار ج ١٨ ص ١٩٧ .

التعاون مع الصديق

يقول حذيفة بن اليمان : « ذهبت مع رسول الله الى بئر، واردنا ان نغتسل ، ولكن لم يكن عندنا ساتر، فأخذت له الثوب فسترته حتى اغتسل ، وحينما اكمل اخذ لي الثوب فأبوت ، وقلت :

« بابي انت وامي يارسول الله ؟ ءانت رسول الله ؟!

ولكنه ابى الا ان يفعل .

ثم قال : « **ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه** » .

الرفق بالحيوان

جلس النبي (ص) يوما يأكل رطبا ، فكان يأكل بيمينه ويمسك النوى بيساره ولا يلقيه في الارض ، فمرت به شاة قريبة منه فأشار اليها بالنوى الذي في كفه ، فدنت اليه وجعلت تأكل من كفه اليسرى ، و يأكل هو بيمينه ، و يلقي اليها النوى حتى فرغ وانصرفت الشاة حينئذ .

وعن موسى بن جعفر ، عن ابائه (ع) عن علي (ع) قال : « بينما رسول الله (ص) يتوضا اذ لاذ به هر البيت ، وعرف رسول الله (ص) انه عطشان فاصفى اليه الاناء حتى شرب منه الهر، وتوضأ بفضله . وقال (ص) :

« **لكل كبد حرا اجر** » !

ورأى (ص) ديكاً بدون دجاجة فقال (ص) لصاحبه : « **هلا أتخذت له اهلاً ؟** »

ونامت هرة على كمه (ص) فلما اراد القيام قطع كمه لئلا تنزعج الهرة !

منع الفحش

عن ابي جعفر (ع) قال :

دخل يهودي على رسول الله (ص) وعائشة عنده ، فقال اليهودي : السام عليكم فقال رسول الله (ص) : وعليك .

ثم دخل اخر وقال مثل ذلك ، فرد عليه رسول الله (ص) كما رد على صاحبه .

ثم دخل اخر فقال مثل ذلك فرد (ص) كما رد على صاحبه .

فغضبت عائشة فقالت :

« وعليكم السام ، والغضب ، واللعنة ، يامعشر اليهود ، ياالخوة القردة والخنازير » .

فقال لها رسول الله (ص) :

ـ « ياعائشة ان الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء ، ان الرفق لم يوضع على شيء قط الا زانه ولم يرفع عنه قط الا شانه . ياعائشة ، ان الله يحب الرفق في كل شيء ! »

التوصية بالنساء

وكان حادي بعض نسوته خادمه (ابخشة) فقال (ص) له :

« يالبشخة ارفق بالقوارير » .

حسن العهد

روي : ان عجوزاً دخلت على النبي (ص) فألطفها ، فلما خرجت سألته عائشة عنها فقال :

« انها كانت تأتينا في زمن خديجة ، وان حسن العهد من الايمان » .

الوفاء بالوعد

عن ابي الحمساء قال : « بايعت النبي (ص) قبل ان يبعث فواعدنيه مكاناً فنسيته يومي والغد فأتيته اليوم الثالث ، فقال (ص) : « يافتى لقد شققت علي ، انا ها هنا منذ ثلاثة ايام ! » .

وعن ابي عبد الله (ع) قال :

« ان رسول الله (ص) وعد رجلا الى الصخرة ، فقال : « انا لك ها هنا حتى تأتي » ، فاشتدت الشمس عليه .

فقال له اصحابه : « يارسول الله لو أنك تحولت الى الظل .

فقال : « وعدته الى ها هنا ، وان لم يجيء كان منه المحشر » .

الالتزام بالامانة

لقد عرف رسول الله ، قبل البعثة ، و بعدها بصدق امانته ، حتى كان يلقب في الجاهلية بالأمين ، ولاجل هذه الصفة ، عرضت عليه خديجة ان يخرج للمتاجرة بأموالها الى الشام ، وكانت بداية التعرف بين النبي (ص) و بين السيدة خديجة (ع) .

ولقد ذكر المؤرخون عن رسول الله (ص) انه كان رجلا افضل قومه مروءةً، واحسنهم خلقا، واكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً واعظمهم حلماً وأمانة واصدقهم حديثاً، وابعدهم من الفحش والاذى، وما رئي ملاحياً ولا مماريا احداً حتى سماه قومه «الامين» لما جمع الله له من الامور الصالحة فيه، فلقد كان الغالب عليه بمكة «الامين».

ولقد حدث ان اختلفت قريش ذات مرة في من يحمل الحجر الاسود و يضعه في مكانه ويحضى بهذا الشرف، فاجتمعت قريش لحل هذه المعضلة، فقال لهم ابوامية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان عامئذ اسن قريش كلها:

ـ «يامعشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه»..، ففعلوا.

فكان اول داخل عليهم رسول الله (ص) فلما رأوه قالوا: «هذا الامين رضينا، هذا محمد».

فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر، قال (ص): «هلمّوا اليّ ثوباً» فأتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده، ثم قال:

«لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً».

ففعلوا، حتى اذ بلغوا به موضعه وضعه هو بيده، ثم بنا عليه.[1]

ولقد قال رسول الله (ص) عن نفسه:

«اما والله اني لأمين في السماء وأمين في الارض».

---

(١) سيرة ابن هشام

الحياء

عن ابي سعيد الخدري قال :

« كان رسول الله (ص) اشد حياء من العذراء في خدرها ، وكان اذا كره شيئاً عرفناه في وجهه » .

وقال :

« كان رسول الله (ص) حيياً لا يُسال شيئاً الا اعطاه » . (١)

رعي الاغنام

عن جابر بن عبد الله قال : « كنّا مع رسول الله (ص) بمر الظهران يرعى الغنم وان رسول الله (ص) قال :

« عليكم بالأسود فانه اطيبه » .

قالوا : « ترعى الغنم ؟ »

قال (ص) : « نعم ، وهل نبيّ الا رعاها ؟ »

وقال عمار (رض) : « كنت ارعى غنيمة اهلي ، وكان محمد (ص) يرعى ايضاً فقلت : يامحمد هل لك في (فخ) فاني تركتها روضة يرق ؟

قال : نعم .. « فجئتها من الغد وقد سبقني محمد (ص) وهو قائم يذود غنمه عن الروضة . قال : اني كنت واعدتك فكرهت ان ارعى قبلك .

---

(١) بحار الانوار/ ج/ ١٦ص/ ٢٣٠

الزهد في الدنيا

عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن ابي عبد الله (ع) قال :

« افطر رسول الله (ص) عشية خميس في مسجد قبا فقال : هل من شراب ؟

فأتاه اوس بن خولي الانصاري بعس مخيض بعسل ، فلما وضعه على فيه نحاه ، ثم قال :

« شرابان يكتفي باحدهما من صاحبه ، لا اشربه ولا احرّمه ، ولكني اكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً ، واحب التواضع لله ، فان من تواضع لله رفعه الله ، ومن تكبر خفضه الله ، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ، ومن بذّر حرمه الله ، ومن اكثر ذكر الموت احبه الله » .

وعن عمر قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو على حصير فجلست ، فاذا عليه ازار ، وليس عليه غيره ، واذا الحصير قد أثّر في جنبه ، واذا انا بقبضة من الشعير نحو الصاع ، قرظ في ناحية في الغرفة ، واذا اهاب معلق ، فأبتدرت عيناي فقال : ما يبكيك ؟

فقلت :

« انت نبي الله وصفوته ، وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير ؟ وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى فيها شيئاً .

فقال (ص) :

« اولئك عجلت لهم طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانا قوم اخرت لنا طيباتنا في آخرتنا » واضاف : « يابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الاخرة ولهم الدنيا » ؟

وعن عائشة قالت : ما شبع آل محمد غذاء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة ايام متتابعات حتى لحق بالله . (١)

وعن ابن عباس قال : والله كان يأتي على ال محمد (ص) الليالي ما يجدون فيها عشاء . (٢)

وعن محمد ابن مسلم قال : دخلت على ابي جعفر (ع) فقال لي :

« يامحمد لعلك ترى ان رسول الله (ص) شبع من خبز البر ثلاثة ايام متوالية منذ أن بعثه الله الى ان قبضه ؟ .

ثم رد على نفسه فقال : لا والله ما شبع من خبز البر ثلاثة ايام متوالية منذ بعثه الله الى ان قبضه .

« اما اني لا اقول : انه كان لا يجد ، فلقد كان يجيز الرجل الواحد بالمائة من الابل فلو اراد ان يأكل لأكل » ..

وعن انس ابن مالك قال :

« إن فاطمة (عليها السلام) ناولت النبي (ص) كسرة من خبز شعير ، فقال لها :

« هذا اول طعام أكله ابوك منذ ثلاثة ايام » (٣) فقال :

« ما هذه ؟ فقالت : قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى اتيك بهذه الكسرة » . (٤)

وعن عبد الله بن سنان ، عن ابي عبد الله (ع) قال :

ـ « دخل رسول الله (ص) الى ام سلمة (رض) فقربت اليه كسرة ، فقال : هل عندك ادام ؟

---

(١) الطبقات الكبرى ج/ ١ ص/ ٤٠١
(٢) المصدر ص / ٤٠٢
(٣) ترغيب ج/ ٤ص/ ١٨٨
(٤) الطبقات الكبرى ج/١ ص/ ٤٠٠

فقالت : لا يارسول الله ما عندي الا خل .

فقال (ص) : «نِعم الأدام الخل ما افتقر بيت فيه خل» .

وروي انه كان فراش رسول الله (ص) عباءة ، وكانت مرفقته ادم حشوها ليف ، فثنيت له ذات ليلة ، فلما اصبح قال : لقد منعني الفراش الليلة الصلاة ، فأمر عليه السلام ان يجعل بطاق واحد . (١)

وعن ابي عبد الله (ع) قال : ما كان شيء احب الى رسول الله (ص) من ان يظل جائعاً خائفاً في الله . (٢)

وعن يزيد بن قسيط ان النبي (ص) اتى بسويق من سويق اللوز ، فلما خيف له قال : ماذا ؟

قالوا : سويق اللوز .

قال : اخروه عني ، هذا شراب المترفين . (٣)

ثم ان رسول الله (ص) لم يورث ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليدة ولا شاة ولا بعيراً .

ولقد قبض (ص) وان درعه مرهونة عند يهودي من يهود المدينة بعشرين صاعا من شعير استلفها نفقة لاهله . (٤)

وعن عمرو بن الحارث قال :

« ما ترك رسول الله (ص) عند موته درهماً ولا ديناراً ، ولا عبداً ، ولا امةً ، ولا شيئاً الا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه ، وارضاً جعلها لابن السبيل صدقة » . (٥)

وعن ابي عبد الله (ع) قال : ... مات رسول الله (ص) وعليه دين . (٦)

---

(١) البحار ج / ١٦ ص / ٢١٧

(٢) فروع الكافي ج/ ٨ص/ ١٢٩

(٣) الطبقات الكبرى ج/ ١

(٤) بحار الانوار ج١٦/ ص /٢١٩

(٥) ترغيب ج/ ٤ ص / ٢٠٤

(٦) فروع الكافي ج / ٥ ص / ٩٣

الاحترام المتبادل في حدودها المعقولة

دخل رجل المسجد والنبيّ جالس وحده فتزحزح له ، فقال الرجل : في المكان سعة يارسول الله ، فقال (ص) :

« ان حق المسلم على المسلم اذا رآه يريد الجلوس اليه ان يتزحزح له » .

وروي : انه (ص) قال :

« من أحب ان يمثل له الرجال فيتبوء مقعده في النار» .

وقال ابو ذر : « رأيت سلمان و بلالاً يقبلان الى النبي (ص) اذ انكبّ سلمان على قدم رسول الله يقبّلها ، فزجره النبي عن ذلك ثم قال له :

« ياسلمان لا تصنع بي ما تصنع الاعاجم بملوكها انا عبد من عبيد الله ، آكل مما يأكل العبد ، واقعد كما يقعد العبد » .

وقال (ص) ايضاً لأصحابه :

« لا تقوموا كما تقوم الاعاجم بعضهم لبعض » .

(وكان الأعاجم يتواضع بعضهم لبعض الى حد الركوع) .

وروي عن ابي عبد الله (ع) قال : (كان رسول الله (ص) اذا دخل منزلاً قعد في ادنى المجلس حين يدخل) .

وروي انه (ص) قال : **« اذا أتى احدكم مجلساً فليجلس حيث ما انتهى مجلسه » .** (١)

---

(١) الصياغة الجديدة

الالتزام بآداب الطعام

روي ان رسول الله (ص) كان يأكل كل الاصناف من الطعام ، وكان يأكل ــ ما أحل الله له ــ مع اهله وخدمه .

وكان يقول (ص) :

« انا عبد أكل كما يأكل العبد ، واجلس كما يجلس العبد » .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : (ما اكل رسول الله (ص) متكئا منذ بعثه الله عزوجل نبيا حتى قبضه الله تواضعا لله عزوجل ، وكان (ص) اذا وضع يده في الطعام قال :

« بسم الله بارك لنا فيما رزقنا ، وعليك خلفه » .

وما ذم رسول الله (ص) طعاماً قط ، فكان اذا اعجبه اكله ، واذا كرهه تركه ، وكان (ص) ما عاف من شيء فإنه لا يحرمه على غيره . (١)

وذات مرة ذهب رسول الله (ص) مع بعض اصحابه الى صحراء ، فأمر بذبح خروف وطبخه استعداداً للطعام .

فقال رجل : يارسول الله ! عليّ ذبحه .

وقال الآخر : يارسول الله ! عليّ سلخه .

وقال آخر : علي طبخه .

فقال النبي : **وعلي جمع الحطب**

قالوا : يارسول الله ! نحن نكفيك .

---

(١) المصدر السابق

فقال : «**قد علمت انكم تكفوني ، ولكني اكره ان اتميز عليكم ، فان الله يكره من عبده ان يراه متميزاً بين اصحابه**» .

فقام وجمع الحطب ، لانه لم يكن يريد ان يتميز عليهم وهو رسول الله ، وحجته على الارض .

التعامل بالاخلاق

قال الله تعالى : «**عزيزٌ عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم**» .

فقد كان رسول الله (ص) اذا صافحه رجل لا يسحب يده حتى يسحب صاحبه ذلك .

وما قعد اليه رجل قط ، فيقوم عنه حتى يقوم هو، ولم يُرَ مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له .

وكان يبدأ من لقيه بالسلام و يبدأ اصحابه بالمصافحة ، ولم ير قط ماداً رجليه بين أصحابه وربما جاءه شخص فبسط له ثوبه و يؤثره بالوسادة التي تحته ، وكان يكنّي أصحابه ، و يدعوهم باحب الاسماء اليهم ، ولا يقطع على احد حديثه .

وكان لا يشير الى احد باصبعه ، وانما بتمام يده .

وكان اذا تحدث اليه احد الى جنبه ، اقدم عليه بكل جسمه .

ولا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته ، وسأله عن حاجته .

وربما يؤتى له بصبي ، لكي يبارك له ، فيبول الصبي ، فيصيح عليه بعض من رآه ، فيقول (ص) : «**لا تزمروا بالصبي**» ثم يدعه حتى يقضي حاجته ، و يقول لهم :

«ان ثوبي هذا يُطهّره الماء ، فما يطهر نفسية هذا الطفل ؟

ثم اذا قاموا وانصرفوا عنه غسل ثوبه ودخل المسجد .

وقال جرير بن عبد الله :

«ما حجبني رسول الله (ص) قط منذ اسلمت ، ولا رآني الا تبسم ، وكان يمازح اصحابه ، ويخالطهم ، ويحادثهم ، و يداعب صبيانهم ، ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ، و يعود المرضى في اقصى المدينة ، و يتبع الجنائز و يقبل عذر المعتذر ، ولا يرتفع على عبيده وامائه في مأكل ولا ملبس ، ولا يأتيه احد حر او عبد او امة الا قام معه في حاجته ، لا فظ ولا غليظ ، لا يجلس متكأ ولا يتقدمه مطرق ، ولا يثبت بصره في وجه احد ، و يقبل الهدية ولو انها جرعة لبن ، وكان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه .[1]

وعن انس قال : ــ «كان رسول الله (ص) اذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة ايام ، سأل عنه فان كان غائبا دعى له ، وان كان شاهداً زاره ، وان كان مريضا عاده» .[2]

وروي انه (ص) لا يدع احدا يمشي معه اذا كان راكباً حتى يحمله معه ، فان ابى قال : **«تقدم امامي وادركني في المكان الذي تريد» . ودعاه قوم من اهل المدينة الى طعام صنعوه له ولاصحاب له خمسة ، فأجاب دعوتهم ، فلما كان في بعض الطريق ادركهم سادس فماشاهم فلما دنوا من بيت القوم قال (ص) للرجل السادس : «ان القوم لم يدعوك ، فاجلس حتى نذكر لهم مكانك ونستأذنهم بك .**[3]

---

(١) كحل البصر

(٢) المصدر السابق

(٣) المصدر السابق

وقال انس : ما التقم احد اذن رسول الله (ص) فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الاخر ، وما قعد الى رسول الله (ص) رجل قط حتى يقوم ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له ، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه و يؤثره بالوسادة التي تحته و يعزم عليه في الجلوس عليه ان ابى ، و يكنى اصحابه ، و يدعوهم بأحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه . (١)

وعن عائشة انها سئلت :

« كيف كان رسول الله (ص) ــ اذا خلا في بيته ؟

قالت : كان الين الناس ، واكرم الناس ، وكان رجلا من رجالكم الا انه كان ضحاكا بساماً .

وروي عن سلمان قال : دخلت على رسول الله (ص) وهو متكيء على وسادة ، فألقاها الي ثم قال :

« ياسلمان ، ما من مسلم دخل على اخيه المسلم فيلقي له الوسادة اكراماً له ، الا غفر الله له » .

وعن الصادق (ع) قال :

ــ « كان رسول الله (ص) يقسم لحظاته بين اصحابه ، فينظر الى ذا و ينظر الى ذا بالسوية ، ولم يبسط رسول الله (ص) رجليه بين اصحابه قط ، وان كان يصافحه الرجل فما يترك رسول الله (ص) يده من يده حتى يكون هو التارك فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه مال بيده فنزعها من يده » .

وروي انه كان (ص) لا يجلس اليه احد وهو يصلي ، الا خفف صلاته ،

---

(١) المصدر السابق

وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ، وكان اكثر الناس تبسماً ، واطيبهم نفسا .

وروي : انه كان خدم المدينة يأتون رسول الله (ص) اذا صلى الغداة بأنيتهم فيها الماء يريدون التبرك به فما يؤتى بانية الا غمس يده فيها ، وربما كان ذلك في الغداة الباردة .

وعن ابن مسعود قال : اتى النبي (ص) رجل بكلمة فأرعد فقال (ص) :

« هوّن عليك فلست بملك ، انما انا بن امرأة كانت تأكل القد » .

عن جرير بن عبد الله قال :

لما بُعث النبي اتيته لأ بايعه ، فقال لي : **ياجرير لاي شيء جئت ؟**

فقلت : جئت لأسلم على يديك يارسول الله ، فاخذ ثوبه ، فلّفه فرمى به الي ، وقال : **« اجلس على هذا »** ثم اقبل على اصحابه فقال :

ـ « اذا اتاكم كريم قوم فأكرموه » .

وعن انس قال : كان رسول الله (ص) احسن الناس خلقاً .(١)

وعن ابي عبد الله الجدلي قال : سألت عائشة كيف كان خلق النبي (ص) في بيته ؟

قالت : كان احسن الناس خلقاً ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشا ، ولا صخابا في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها ، ولكن يعفو و يصفح .

وقالت : « كان خلقه القرآن ! » .

وعن ابن عباس انه سأل كعب الاحبار : كيف تجد نعت رسول الله في التوراة ؟

فقال :

---

(١) الطبقات الكبرى ج / ١ ص / ٣٦٤

ـ « نجده محمد بن عبد الله ... ليس بفحاش ولا بصخاب في الاسواق ، ولا يكافي بالسيئة ، ولكن يعفو و يغفر . (١)

وعن عبد الله بن الحارث قال :

« ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله (ص) .

وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت :

« ما خير رسول الله (ص) في امرين الا اخذ ايسرهما ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس منه .

التواضع

كان رسول الله (ص) يتواضع مع الجميع و يقول :

« ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ، ولا يبغي احد على احد » . (٢)

ولقد اتاه جبرئيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الارض ثلاث مرات ، يخيّره من غير ان ينقصه الله تبارك وتعالى مما اعد له يوم القيامة شيئا ، فيختار التواضع لربه جل وعز .

وقال (ص) :

« لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على احد بعدي ، وهو اسرافيل وعندي جبرئيل ، فقال : السلام عليك يامحمد .

ثم قال : انا رسول الله ربك اليك امرني ان اخيرك ان شئت نبياً عبداً ، وان شئت نبياً ملكاً ؟

فنظرت الى جبرئيل فأومأ جبرائيل الي : أن تواضع .

فقلت : **نبياً عبداً » .**

---

(١) المصدر السابق ص / ٣٦٠ (٢) كنز العمال ح/ ٥٧٢٢

وعن جابر قال : (كان رسول الله (ص) اذا خرج مشى اصحابه امامه وتركوا ظهره للملائكة) .

وعن انس بن مالك قال : كان رسول الله (ص) يقعد على الارض ، و ياكل على الارض ويجيب دعوة الملوك ، و يقول :

ـ « **لو دعيت الى ذراعٍ لأجبت ولو أُهدي الي كراعٌ لقبلتُ** » .

وكان يعقل شاته بيده .

وعن حمزة بن عبد الله بن عتبة قال :

ـ كانت في النبي (ص) خصال ليست في الجبارين . كان لا يدعوه احمر ولا اسود من الناس الا اجابه ، وكان ربما وجد تمرة ملقاة فيأخذها فيهوي بها الى فيه ، وانه ليخشى ان تكون من الصدقة ، وكان يركب الحمار عرياناً ليس عليه شيء . (١)

وعن يحيى بن كثير ان رسول الله (ص) قال : « **آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد فانما انا عبد** » .

وروى ان النبي كان يجلس محتفرا . وكان يأكل على الحضيض و ينام على الحضيض .

ولقد مرت إمرأة بدوية برسول الله (ص) ، وهو يأكل وهو جالس على الحضيض ، فقالت :

ـ « يامحمد ، والله انك لتأكل اكل العبد ، وتجلس جلوسه !؟

فقال لها رسول الله (ص) : ـ « **ويحك اي عبد اعبد مني** » ؟

فقالت : « فناولني لقمة من طعامك » ، فناولها .

فقالت : « لا والله الا التي في فمك ، فاخرج رسول الله (ص) اللقمة من فمه فناولها . (٢)

---

(١) الطبقات ج / ١ ص / ٣٧٠

(٢) بحار الانوار ج/ ١٦/ ص/ ٢٢٦

وكان يقول : ــ « **خمس لا ادعهن حتى الممات :**

١ ــ « الاكل على الحضيض مع العبيد ،

٢ ــ « وركوبي الحمار مؤكفاً ،

٣ ــ « وحلبي العنز بيدي ،

٤ ــ « ولبس الصوف ،

٥ ــ « والتسليم على الصبيان ، لتكون سنة من بعدي » [(١)]

وكان اهل الصفة ناساً من اصحاب رسول الله (ص) لا منازل لهم ، فكانوا ينامون على عهده في المسجد ، و يظلون فيه ما لهم مأوى غيره ، فكان رسول الله (ص) يدعوهم اليه بالليل اذا تعشى ، فيفرقهم على اصحابه ، وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله (ص) حتى جاء الله تعالى بالغنى .

وعن ابي ذر قال : ــ كان رسول الله (ص) يجلس بين ظهراني اصحابه فيجيء الغريب ، فلا يدري ايهم هو ، حتى يسأل ، فطلبنا الى النبي (ص) ان يجلس مجلساً يعرفه الغريب اذا اتاه ، فبنينا له دكاناً من طين ، وكان يجلس عليه ، ونجلس بجانبيه . [(٢)]

وعن ابي مسعود ، قال : ــ « أتى النبي (ص) رجلٌ فكلّمه ، فبدأت فرائصه ترتعد ، فقال له النبي (ص) :

ــ « هوّن عليك فاني لست بملك ، انما انا ابن امرأة تأكل القديد » . [(٣)]

---

(١) المصدر السابق ص / ٢١٥

(٢) المصدر السابق ص / ٢٢٩

(٣) سنن بن ماجة ج/ ٢

لا يخجل احداً ولا يعاتب

عن انس بن مالك ، قال :

ـ « كانت لرسول الله (ص) شربة يفطر عليها ، وشربة للسحر ، وربما كانت واحدة ... فهيئتها له ذات ليلة فاحتبس (تأخر) النبي فظننت ان بعض اصحابه دعاه ، فشربتها فجاء بعد العشاء بساعة ، فسألت بعض من كان معه هل كان النبي افطر في مكان او دعاه احد ؟ فقال : لا .

فبتُّ بليلة لا يعلمها الا الله من غم ان يطلبها منّي النبي ولا يجدها فيبيت جائعاً ، فاصبح صائما وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة » (١)

وعن انس ايضا قال : ـ « خدمت رسول الله (ص) عشر سنين ، فوالله ما قال لي : « أفاً » قط ولا قال لي لشيء : « **لم فعلت كذا ؟** و « **هلا فعلت كذا** » ؟ . (٢)

شجاعة بلا حدود

لقد نزل على رسول الله (ص) قوله تعالى :

« لا تكلف الا نفسك » فكان اشجع الناس ، بل كان الشجاع ـ كما يقول الامام الصادق (ع) ـ من لاذ برسول الله لقربه من العدو .

وعن انس قال : « كان رسول الله (ص) احسن الناس ، وكان اجود الناس ، وكان اشجع الناس ، ولقد فزع اهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قِبَل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم الى الصوت وهو على فرس

---

(١) بحار الانوار ج / ٤

(٢) صحيح مسلم ج / ٤

لابي طلحة عري ، وفي عنقه السيف وهو يقول :

ـ « لم تراعوا ، لم تراعوا » . (١)

وسأل رجل ، البراء قائلاً : « افررتم يوم حنين عن رسول الله (ص) ؟ قال : لكن رسول الله لم يفر » !

ثم اضاف : « لقد رأيته (ص) على بغلته البيضاء وابو سفيان بن الحرث بن عم النبي آخذ بلجامها والنبي (ص) يقول :

ـ « انا النبي لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب » . (٢)

وعن امير المؤمنين (ع) قال :

ـ « إنّا كنا اذا حمي البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله (ص) فما يكون احد اقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي (ص) وهو اقربنا الى العدو وكان اشد الناس يومئذ باساً » . (٣)

يقول الشاعر :

طارت قلوب العدى من بأسه فرقاً ... فما تفرق بين البهم والبهم
ومن يكن برسول الله نصرته ... ان تلقه الاسد في اجامها تجم (٤)

الإيثار بالمال والنفس والاهلين

من كتاب لامير المؤمنين (ع) الى معاوية :

ـ « كان رسول الله (ص) اذا احمرت البأس واحجم الناس ، قَدّم اهل بيته فوقىٰ بهم اصحابه حر السيوف والاسنة ، فقتل عبيدة بن الحارث يوم بدر ، وقتل حمزة يوم احد ، وقتل جعفر يوم مؤتة ... » . (٥)

---

(١) الطبقات الكبرى ج/ ١ ص/ ٣٧٣ (٢) كحل البصر (٣) المصدر السابق
(٤) كحل البصر (٥) نهج البلاغة كتاب / ٩

وعن عائشة قالت : ــ ما شبع رسول الله (ص) ثلاثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنّا نؤثر على انفسنا . (١)

الغضب لله

روي ان النبي (ص) كان يغضب لربه ولا يغضب لنفسه .

وجاء في وصفه « ما انتصر نفسه من مظلمة حتى ينتهك محارم الله ، فيكون حينئذ غضبه لله تبارك وتعالى » (٢)

وعن عائشة قالت :

ــ ما ضرب رسول الله (ص) شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عزوجل . (٣)

وعن الحسن بن علي قال : « سألت خالي هند بن ابي هالة التميمي ، وكان وصافاً عن حلية رسول الله (ص) فقال : لا تغضبه الدنيا وما كان لها فاذا تعوطي الحق لم يعرفه احد ، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها » (٤)

وعن ابي عبد الله (ع) قال :

ــ « انهزم الناس يوم احد عن رسول الله (ص) ، فغضب غضباً شديداً ، وكان اذا غضب انحدر عن جبينه مثل اللؤلؤ من العرق » . (٥)

وعن عائشة قالت : ــ « كان رسول الله (ص) اذا ذكر خديجة لم يسأم من الثناء عليها والأستغفار لها ، فذكرها ذات يوم فحملتني الغيرة فقلت له :

---

(١) المحجة البيضاء / ج / ٦ ص / ٧٩ (٢) بحار الانوار ج/ ١٦/ ص/ ٢٣٧

(٣) صحيح مسلم ج / ٤ ص / ١٨١٤ (٤) الطبقات ج/ ١ ص/ ٤٢٢ (٥) البحار ج/ ١٦ ص/ ١٩٤

ـ « انك لا تفتأ تذكر خديجة ولقد عوضك الله خيراً منها . . ! قالت : « فرأيت رسول الله يغضب غضباً شديداً ، فسقط ما في يدي، فقلت : « اللهم انك ان اذهبت بغضب رسولك لم اعد بذكرها بسوء ما بقيت » .

فلما رأى رسول الله (ص) ما لقيت قال :

ـ « **كيف قلت ؟ واللهِ ، ان الله لم يعوضني خيراً منها ، فلقد آمنت بي اذ كفر بي الناس وآوتني اذ رفضني الناس ، وصدّقتني اذ كذبني الناس ، ورزقت مني حيث حرمتموه** » قالت عائشة : « فغدا وراح عليَّ بها شهراً (أي يكرّر ذلك عليّ) » . [١] !

الصبر وتحمل الاذى

يقول رسول الله (ص) :

ـ « **ما اوذي احد مثل ما اوذيت في الله** » . [٢]

و يقول : ـ « **لقد أوذيتُ في اللهِ وما يؤذي احد ، واخفت الله وما يخاف احد ، ولقد اتت عليّ ثلاثون من يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء يواريه أبط بلال** » . [٣]

وعن اسماعيل بن عياش قال : ـ « كان رسول الله (ص) اصبر الناس على أوزار الناس » . [٤]

وعن طارق المحاربي قال : ـ « رأيت رسول الله (ص) بسوق ذي المجاز قمر وعليه جبة له حمراء وهو ينادي باعلى صوته :

ـ « **ياأيّها الناس ! قولوا : لا اله الا الله تفلحوا** » ، ورجل آخر يتبعه

---

(١) البحار ج/ ١٦ ص/ ١٢ (٢) كنز العمال ح / ٥٨١٨

(٣) المصدر السابق ح/ ١٦٦٧٨ (٤) الطبقات الكبرى ج/ ١ ص / ٣٧٨

بالحجارة وقد ادمى كعبيه وعرقوبيه ، والرجل يقول : ــ « يا ايها الناس ! لا تطيعوه فانه كذاب » .

« قلت : من هذا ؟ ــ واشرت الى رسول الله ــ » .

« قالوا : غلام من بني عبد المطلب » .

« قلتُ فمن هذا الذي يتبعه و يرميه ؟ » .

« قالوا : ــ « هذا عَمُّه عبد العزى وهو ابو لهب » . (١)

وعن منيب بن مدرك بن منيب عن ابيه عن جده قال : ــ « رأيت رسول الله (ص) في الجاهلية وهو يقول : **« يا ايها الناس ! قولوا لا اله الا الله تفلحوا »** .

فمنهم من تفل في وجهه ، ومنهم من حثى عليه التراب ، ومنهم من سبّه ، فاقبلت جارية بعس من ماء فغسل وجهه و يديه وقال : **يا بنية ! اصبري ولا تحزني على ابيك غلبة ولا ذُلاً »** .

فقلت : من هذه ؟ فقالوا : « زينب بنت رسول الله (ص) وهي جارية وصيفة .

وعن ابن مسعود قال : « كأني انظر الى رسول الله (ص) يحكي نبياً من الانبياء ضربه قومه فأدموه ، وهو يمسح الدم عن وجهه و يقول :

ــ « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » . (٢)

وكان (ص) ذات مرة يطوف ، فشتمه « عقبة بن ابي معيض » والقى عمامته من عنقه وجره الى خارج المسجد .

وجاؤا اليه ذات يوم ، وهو ساجد لله ــ عز وجل ــ فطرحوا عليه رحم شاة .

وحينما هاجر الى الطائف لقي في هذه المدينة من قبيلة ثقيف ما لقي .

---

(١) كنز العمال ح / ٥٥٣٨

(٢) ترغيب ج / ٣

وذكر المؤرخون ان النبي (ص) حينما دخل الطائف انتشر الخبر في صفوف المشركين الذين سرعان ما تآمروا عليه وأرادوا قتله . ولكنه حينما اراد العودة من حيث أتى وقفت في طريقه قبيلة بني ثقيف ، صفيّن فلما مر بين صفيهم كان لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة ، حتى ادموا رجليه ، فقال : **« اللهم اني اشكو اليك ضعف بدني ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، فان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي »** .

الدعاء والعبادة والخشية من الله

ذات مرة كان النبي (ص) في بيت ام سلمة في ليلتها ، ففقدته من الفراش فداخلها في ذلك ما يدخل النساء ، فقامت تطلبه في جوانب البيت حتى انتهت اليه وهو في جانب من البيت قائم رافعاً يديه يبكي و يقول :

ـ « اللهم لا تنزع مني صالح ما اعطيتني ابداً ، اللهم ولا تكلني الى نفسي طرفة عين ابداً » .

ثم انصرفتْ ام سلمة تبكي حتى انصرف رسول الله (ص) لبكائها فقال لها :

ـ « ما يبكيك ياام سلمة ؟ » .

فقالت :

بأبي انت وامي يارسول الله ، ولمَ لا ابكي وانت بالمكان الذي انت به من الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟!

فقال :

ـ « ياام سلمة وما يُؤمّنني ؟ وانما وَكَّل الله يونس بن متى الى نفسه طرفة عين وكان منه ما كان » .

وعن ابي بصير، عن ابي عبد الله قال :

ـ « كان رسول الله (ص) اذا صلى قام على اصابع رجليه حتى تورمت، فانزل الله تعالى عليه : (طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) » .

وروي : انه (ص) لما نسخ فرض قيام الليل، طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعتهم، فوجدها كبيوت النحل لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة .

ولقد قالت له عائشة :

ـ يارسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟

فقال : ـ « ياعائشة الا اكون عبداً شكوراً ؟!.. » .(١)

وعن بكر بن عبد الله قال : ان عمر بن الخطاب دخل على النبي (ص) وهو محموم فقال له :

ـ يارسول الله ما اشد وعكك او حماك ؟

فقال (ص) : « ما منعني ذلك ان قرأت الليلة ثلاثين سورة فيهن السبع الطول » .

فقال عمر : ـ يارسول الله غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وانت تجتهد هذا الاجتهاد ؟ .(٢)

فقال : « ياعمر افلا اكون عبداً شكوراً ؟ » .

وروي : انه كان اذا قام الى الصلاة يسمع من صدره أزيز كازيز المرجل .

وقال ابن هالة : كان رسول الله (ص) متواصل الاحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة .

---

(١) بحار الانوار/ ١٦ ص/ ٢٦٤

(٢) بحار الانوار / ١٦ ص/ ٢٢٢

وقال ابو ذر : ــ «قام رسول الله (ص) ليلة يردد قوله تعالى **«ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم»**.

ولما قال رسول الله (ص) لابن مسعود اقرأ علي ، قال ففتحت سورة النساء فلما بلغت : **«فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً»** رأيت عيناه تذرفان من الدمع فقال لي : **«حسبك الآن»**. (٢)

وروي : انه (ص) كان لا يقوم ولا يجلس الا على ذكر الله تعالى. (٢)

السخاء والكرم

قال امير المؤمنين (ع) : **«كان رسول الله (ص) اجود الناس كفاً، واكرمهم عشرة، من خالطه فعرفه، أحبّه»**. (٣)

وروي عن الصادق (ع) : ــ **«ان رسول الله (ص) اقبل الى الجعرانة فقسم فيها الاموال وجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى الجؤه الى شجرة فأخذت برده، وخدشت ظهره حتى جلوه عنها وهم يسألونه»**.

فقال : ــ **«ايّها الناس، رُدّوا عليّ بردي، والله لو كان عندي عدد شجر تهامة نعماً لقسمته بينكم، ثم ما الفيتموني جباناً ولا بخيلاً»**. (٤)

وقال مالك بن عوف ــ حين اسلم، وهو الذي جمع هوازن لحرب رسول الله (ص) فأخذ ماله، واسر اهله في الاسارى، فلحق برسول الله (ص) فرد عليه اهله و ماله واعطاه مائة من الابل، فأسلم وحسن اسلامه ــ قال :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
اوفى واعطى للجزيل اذا اجتدى ... ومتى تشا يخبرك عما في غد

---

(١) كحل البصر
(٢) كحل البصر
(٣) كحل البصر
(٤) كحل البصر

واذا الكتيبة عردت انيابها بالسمهري وضرب كل مهندي
فكأنه ليث على اشباله وسط الهبائة خادر في مرصد[١]

وكان (ص) اكرم الناس كفاً وكان يؤثر غيره على نفسه فيبيت جائعاً ليطعم غيره وقد قالت عائشة : كنا نأكل الاسودين (أي الماء والتمر) ونطعم الناس الاحمرين (اي الخبز واللحم) .[٢]

وروى اهل السير انه (ص) قال في مرض موته ، للعباس :

ـ «ياعم رسول الله ، تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي ديني» .

قال العباس : ـ «يارسول الله ، عمك شيخ كبير،ذو عيال كثيرة ، وانت تباري الريح سخاءً وكرماً وعليك وعد لا ينهض به عمك . . » .

وروي : انه كان (ص) يجيز الرجل الواحد بالمائة من الابل .

وقد قال اعرابي : «ان محمداً (ص) يعطي عطاء من لا يخاف الفقر» .

وعن ابي عبد الله (ع) قال :

ـ «ان رسول الله (ص) كان لا يسأله احد من الدنيا شيئاً الا اعطاه ، فأرسلت اليه امرأة ابناً لها ، فقالت :

ـ «انطلق اليه فاسأله فان قال لك : «ليس عندنا شيء» فقل : «اعطني قميصك» . ففعل ابنها ما طلبت منه ، ولم يكن عند رسول الله شيء ، فاخذ قميصه فرمى به اليه» .

وعن جابر بن عبد الله قال :

ـ «غزا رسول الله (ص) احدى وعشرين غزوة بنفسه شاهدت منها تسعة عشر، وغبت عن اثنتين ، فبينما انا معه في بعض غزواته اذا أعيا ناضحي تحتي بالليل فبرك ، وكان رسول الله (ص) في آخرنا ، في اخريات الناس ، فيزجي الضعيف ويردف ويدعو لهم ، فانتهى الي وانا اقول : ياهف اميّاه وما زال لنا

(١) كحل البصر
(٢) الصياغة الجديدة

ناضح سوء .

فقال : « من هذا ؟ » .

فقلت : انا جابر ، بأبي انت وامي يارسول الله .

قال : « ما شأنك ؟! » .

قلت : اعيا ناضحي .

فقال : « امعك عصا ؟ » .

فقلت : نعم .

فضربه ثم بعثه ، ثم اناخه ووطيء على ذراعه وقال : ـ « اركب فركبت فسايرته فجعل جملي يسبقه فاستغفر لي تلك الليلة خمساً وعشرين مرة فقال لي : « ما ترك عبد الله من الولد (يعني اباه) .

قلت : سبع نسوة .

قال : « ابوك عليه دين » .

قلت : نعم .

قال : « فاذا قدمت المدينة فقاطعهم فان ابوا فاذا حضر جذاذ نخلكم فأذني » .

وقال : « هل تزوجت ؟ » .

قلت : نعم .

قال : « بمن ؟ » .

قلت : بفلانة بنت فلان بايم كانت بالمدينة .

قال : « فهلا فتاة تلاعبها وتلاعبك ؟ » .

قلت : يارسول الله كن عندي نسوة خرق (يعني اخواته) فكرهت ان اتيهن بامرأة خرقاء ، فقلت : هذه اجمع لأمري .

قال : « أصبت ورشدت » .

ثم قال : «**بكم اشتريت جملك ؟**» .

فقلت : بخمس اواق من ذهب .

قال : «**قد اخذناه**» .

فلما قدم المدينة اتيته بالجمل ، فقال : يابلال اعطه خمس اواق من ذهب يستعين به فيدين عبد الله وزده ثلاثاً واردد عليه جمله .

قال : «**هلا قاطعت غرماء عبد الله ؟**» .

قلت : لا يارسول الله .

قال : «**اترك وفاء**» .

قلت : لا .

قال : «**لا عليك اذا حضر جذاذ نخلكم فاذني**» فاذنته فجاء فدعا لنا فجذذنا واستوفى كل غريم ما كان يطلب تمراً وفاء و بقى لنا ما كنا نجذ واكثر ، فقال رسول الله (ص) : «**ارفعوا ولا تكيلوا**» ، فرفعناه واكلنا منه زماناً .(١)

وقال (ص) ــ حين قال رجل شعراً في حقه :

انت نبي الله حقاً نعلمه ودينك الاسلام ديناً نعظمه

نبغي مع الاسلام شيئاً نقضمه ونحن حول ديننا ندندنه

قال : «**ياعلي اقض حاجته**» فاشبعه علي (ع) واعطاه ناقة وجلّةً ، وتمراً .

وروي انه لما كسرت رباعية رسول الله ، وشج وجهه يوم احد ، شق ذلك على اصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم .

فقال : ــ «**اني لم ابعث لعاناً ، ولكني بعثت داعياً ورحمة** «**اللهم أهدِ قومي فانهم لا يعلمون**» .

---

(١) الصياغة الجديدة

العفو عن الخاطئين

روي انه عفى عن جماعة كثيرة، بعد ان كان اباح دمهم وامر بقتلهم.

ومنهم «هبّار بن الاسود بن المطلب» وهو الذي روع زينب بنت رسول الله (ص)، فاسقطت جنينها فاباح رسول الله دمه لذلك، فروي انه اعتذر الى النبي (ص) من سوء فعله وقال:

ـ «كنا يانبي الله، اهل شرك فهدانا الله تعالى بك، وانقذنا بك من الهلكة، فاصفح عن جهلي، وعما كان بلغك عني، فاني مقر بسوء فعلي، معترف بذنبي».

فقال رسول الله (ص): ـ **«قد عفوت عنك، وقد احسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام، والاسلام يجبّ ما قبله».**

ومنهم «وحشي» قاتل حمزة (ع)، فقد روي انه لما اسلم، قال له النبي (ص):

«اوحشي انت؟».

قال: نعم.

قال: **«اخبرني كيف قتلت عمي»**.

فاخبره فبكى (ص) وقال: **«غيّب وجهك عني»**.

ومنهم «عبد الله بن الزبعرى السهمي» وكان يهجو رسول الله (ص) بمكة، و يعظم القول فيه، فهرب يوم الفتح، ثم رجع الى رسول الله (ص) واعتذر، فقبل (ص) عذره فقال حين اسلم:

يارسول المليك ان لساني ... راتق ما فتقت اذْ أنا بورُ
اذْ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبورُ
آمن اللحم والعظام بربي ... ثم قلبي الشهيد انت نذير

وقال ايضاً في ابيات كثيرة يعتذر فيها:

انـي لمـعـتـذر الـيـك مـن الـذي اسديت اذْ أنا في الضلال اهيم
فـاغـفـر فـذلك والدي كـلاهما زللي فـانـك راحـم مـرحـوم
ولقد شهدت بان دينك صادق حق وانك في العباد جسيم

وعفا عن «هند» و «أبي سفيان» مع ما جرى منهما عليه من الاذى والظلم والعدوان.(١)

وروي انه لما قتل النضر بن الحرث، وهو من مجاهري اعداء رسول الله (ص) وقد قتله امير المؤمنين (ع) بامر النبي (ص) في الصفراء في رجوعهم من بدر وانشدت ابنته «فتيلة» ابياتاً تحسراً وتعطفاً فقالت:

أمحمد ولأنت نجل نجيبة في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت، وربما مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنتَ قابل فديه فلنأتين باعز ما يغلو لديك و ينفق
فالنضر اقرب من اصبت وسيلة واحقهم ان كان عتق يعتق

فلما سمع النبي (ص) ذلك قال:

«لو سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته»!

وايضا عفى (ص) عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها بذلك، فقد روي عن ابي جعفر الباقر (ع) قال: **«ان رسول الله (ص) أُتي له باليهودية التي سمت الشاة التي أكلها فقال لها: «ما حملك على ما صنعت».**

فقالت: «قلت ان كان نبياً لم يضره، وان كان ملكاً ارحت الناس منه».

قال: «فعفى رسول الله (ص) عنها».(٢)

---

(١) كحل البصر
(٢) المصدر السابق

وعن ابي عبد الله (ع) قال : « نزل رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد ، فاقبل سيل فحال بينه وبين اصحابه ، فرآه رجل من المشركين ، والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل .

فقال رجل من المشركين اسمه غورث لقومه : « انا اقتل محمداً » ، فجاء وشد على رسول الله (ص) بالسيف ، ثم قال : من ينجيك مني يامحمد ؟ فقال (ص) : « ربي وربك » .. فسقط الرجل على ظهره .

فقام رسول الله (ص) واخذ السيف وجلس على صدره وقال : « والآن من ينجيك مني ياغورث » .

فقال : « جودك وكرمك يامحمد » .

فتركه والرجل يقول : « والله لانت خير مني واكرم » .[1]

قضاء حوائج الناس

عن ابان الاحمر ، عن الصادق جعفر بن محمد (ع) قال :

« جاء رجل الى رسول الله (ص) وقد بلىٰ ثوبه ، فحمل الرجل اليه (ص) اثني عشر درهماً ، فقال : ياعلى خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوباً البسه » .

قال علي (ع) : « فجئت الى السوق فاشتريت له قميصاً باثني عشر درهماً وجئت به الى رسول الله (ص) فنظر اليه فقال :

ـ « ياعلي غير هذا احب اليّ ، اترى صاحبه يعيلنا ؟ » .

فقلت : « لا ادري » .

فقال : « انظر فجئت الى صاحبه ، فقلت : ان رسول الله (ص) قد كره هذا يريد ثوباً دونه فاقلنا فيه ، فردّ علي الدراهم وجئت به الى

(١) الحياة ج / ٢

رسول الله (ص)، فمشى معي الى السوق يبتاع قميصاً، فنظر الى جارية قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله (ص):

«ما شأنك؟».

قالت: «يارسول الله ان اهل بيتي أعطوني اربعةدراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت، فلا اجسر ان ارجع اليهم».

فاعطاها رسول الله (ص) اربعة دراهم وقال: «ارجعي الى اهلك».

ومضى (ص) الى السوق فاشترى قميصاً باربعة دراهم ولبسه وحمد الله وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: ــ «من كساني كساه الله من ثياب الجنة فخلع رسول الله قميصه الذي اشتراه وكساه السائل ثم رجع الى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصاً اخر فلبسه وحمد الله ورجع الى منزله، واذا بالجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله (ص): ــ «ما لك لا تأتين اهلك؟؟».

قالت: «يارسول الله (ص) اني قد ابطأت عليهم، واخاف ان يضربوني» فقال رسول الله (ص): ــ «مرّي بين يدي، ودليني على اهلك»!.

فجاء رسول الله (ص) حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: «السلام عليكم ياأهل الدار» فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه فأعاد السلام، فقالوا: عليك السلام يارسول الله ورحمة الله وبركاته.

فقال لهم: «ما لكم تركتم اجابتي في اول السلام والثاني؟!».

قالوا: «يارسول الله سمعنا سلامك فاحببنا ان تستكثر منه».

فقال رسول الله (ص): «ان هذه الجارية ابطأت عليكم فلا تؤاخذوها».

فقالوا : «يارسول الله هي حرة لمشاك» .

فقال رسول الله (ص) : «**الحمد لله ، ما رأيت اثني عشر درهماً اعظم بركة من هذه ، كسى الله بها عريانين ، واعتق بها نسمة**» .

حب الخير

عن داود بن عبد الله بن محمد الجعفري ، عن ابيه ان رسول الله (ص) كان في بعض مغازيه ، فمر به ركب وهو يصلي ، فوقفوا على اصحاب رسول الله (ص) فسائلوهم عن رسول الله (ص) ودعوا واثنوا ، وقالوا :

« لولا أنا عجال لانتظرنا رسول الله (ص) فاقرئوه منا السلام » ومضوا .

فانفتل رسول الله (ص) مغضباً ، ثم قال لأصحابه :

«**يقف عليكم الركب ، ويسألونكم عني ويبلغوني السلام ، ولا تعرضوا عليهم الغذاء ليعز على قوم فيهم خليلي جعفر ان يجوزوه حتى يتغذوا عنده**» .

وعن عمار بن حيان قال : قال ابو عبد الله (ع) : **ان رسول الله (ص) اتته اخت له من الرضاعة ، فلما ان نظر اليها سُرّ بها وبسط رداءه لها فاجلسها عليه ، ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت .**

ثم جاء اخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، فقيل :

«**يارسول الله صنعت باخته ، ما لم تصنع به وهو رجل**» .

فقال : «لانها كانت أبرّ بأبيها منه» .

الحلم الكبير

روي ان اعرابيا من بني سليم يتبدى في البرية ، فاذا هو بضب قد نفر من بين يديه ، فسعى وراءه حتى اصطاده ثم جعله في كمه ، واقبل يزدلف نحو

النبي (ص) فلما ان وقف بازائه ناداه :

«يامحمد .. يامحمد .. انت الساحر الكذاب الذي ما اظلت الخضراء ، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة هو اكذب منك ، انت الذي تزعم ان لك في هذه الخضراء الهاً ، بعث بك الى الاسود والابيض ؟! واللات و العزى لولا اني اخاف ان قومي يسمونني العجول لضربتك بسيفي هذا ضربة اقتلك بها فاسود بك الأوّلين والاخرين » .

فوثب اليه عمر بن الخطاب ليبطش به فقال النبي (ص) : **« اجلس يا ابا حفص فقد كاد الحليم ان يكون نبياً » .**

ثم التفت (ص) الى الاعرابي ، فقال له :

«يااخا بني سليم ، هكذا تفعل العرب ؟ يتهجمون علينا في مجالسنا ، يجابهوننا بالكلام الغليظ ؟ . يااعرابي والذي بعثني بالحق نبياً ان من ضربني في دار الدنيا ، هو غداً في النار يتلظى » .

وروي انه (ص) قال : **«لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فأني احب ان اخرج اليكم سليم الصدر» .**

العدالة مع الجميع

عن امير المؤمنين (ع) قال : ــ **« ان يهودياً كان له على رسول الله (ص) دنانير فتقاضاه** فقال (ص) له : ــ **« يايهودي ما عندي ما اعطيك » .**

فقال : « فاني لا افارقك يامحمد حتى تقضيني » .

فقال : **« اذاً . اجلس معك ، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والغداة ،** وكان اصحاب رسول الله (ص) يتهددونه و يتواعدونه ، فنظر رسول الله (ص) اليهم فقال :

ـ «**ما الذي تصنعون به ؟**» .

فقالوا : «يارسول الله يهودي يحبسك ؟» .

فقال (ص) : «**لم يبعثني ربي عزّوجل بأن أظلم معاهداً ولا غيره**»

فلما علا النهار قال اليهودي : «اشهد ان لا اله الا الله ، أما والله ما فعلت بك الذي فعلت الا لانظر الى نعتك في التوراة ، فاني قرأت نعتك في التوراة هكذا : محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، وليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ، ولا متزين بالفحش ، ولا قول الخناء ، وانا اشهد ان لا اله الا الله ، وانك رسول الله (ص) ، وهذا مالي ، فاحكم فيه بما انزل الله ! .

وقال لأحد صحابته في كلام له (ص) عند تقسيم غنائم حنين : «**ويلك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟**» .

مراعاة عواطف المؤمنين

روي عن ابي عبد الله (ع) قال : «**أتي النبي (ص) بشيء فقسمه ، فلم يسع اهل الصفة جميعاً فخص به اناساً منهم**» .

فخاف رسول الله (ص) ان يكون قد دخل قلوب الاخرين شيء فخرج اليهم فقال :

«**معذرة الى الله عزوجل واليكم ياأهل الصفة ، انا اوتينا بشيء فاردنا ان نقسمه بينكم فلم يسعكم ، فخصصت به اناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم**» .

وروي ان العلاء بن الحضرمي قال للنبي (ص) :

«ان لي اهل بيت احسن اليهم ، فيسيئون ، واصلهم فيقطعون» .

فقال رسول الله (ص) : «**ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه**

(١)

عداوة كأنه ولي حميم » .

فقال العلاء : « اني قلت شعراً هو احسن من هذا » فقال (ص) : « **وما قلت** » فانشده شعره .

فقال النبي (ص) : « **ان من الشعر لحكمة ، وان من البيان لسحراً ، وان شعرك لحسن وان كتاب الله أحسن** » .

الانتصار للمستضعفين

كان رسول الله يحب المستضعفين ، و يدعو لهم ، ويجلس معهم و يساوي بينهم و بين غيرهم ..

وقد روي انه لما قسم (ص) غنائم بدر، قال سعد بن ابي وقاص :

يارسول الله ! اتعطي فارس القوم الذي يحميهم مثل ما تعطي الضعيف ؟

فقال النبي (ص) : « **ثكلتك امك ! وهل تنصرون الا بضعفائكم ؟** » .[1]

الظرافة المحدودة

لم يكن رسول الله فجاً ، كما لم يكن غليظ القلب ، فلقد كان يمزح مع اصحابه فلا يقول الا الحق .

كما كانوا يمزحون معه فلا يقولون ما يغضب الله .

فمرة قال له رجل : احملني يارسول الله فقال : ــ « **انا حاملوك على ولد ناقة** » .

فقال : « ما اصنع بولد ناقة ؟ » .

---

(١) الحياة ج / ٢

فقال (ص) : « **وهل يلد الأ بل الا النواق ؟!** » .

واستدبر (ص) رجلاً من ورائه و اخذ بعضده وقال : ــ « **من يشتري هذا العبد ؟** » يقصد انه عبد الله .

وقال (ص) لشخص : ــ « **لا تنسى يا ذا الاذنين** » !

وعن زيد بن اسلم انه (ص) قال لأمرأة ذكرت زوجها : ــ « **اهذا الذي في عينيه بياض ؟** » .

فقالت: « لا ما بعينيه بياض » .

وحكت لزوجها ذلك فقال :

ــ « اما ترين بياض عيني اكثر من سوادهما .

ورأى (ص) جملاً عليه حنطة فقال : « **تمشي الهريسة** » .

وعن ابن عباس : انه (ص) كسى بعض نسائه ثوباً واسعاً فقال لها : « **البسيه واحمدي الله وجري منه ذيلاً كذيل العروس** » !

وجاء اعرابي فقال : ــ « يارسول الله (ص) بلغنا ان الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جميعاً جوعاً افترىٰ بأبي انت وامي أن أكف من ثريده تعففاً وتزهداً ، فضحك رسول الله (ص) ، ثم قال : « **بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين** » .

صفاته الجسدية

اما صفاته الجسدية ، فقد قال عنها امير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :

« **ابيض اللون ، مشرباً حمرة ، ادعج العين ، سبط الشعر ، كث اللحية ذا وفرة ، دقيق المسربة ، كأنما عنقه ابريق فضة ، يجري في تراقيه الذهب ، له شعر من لبّته الى سرته كقضيب خيط الى السرة ، وليس في بطنه ولا صدره شعر غيره** » .

«شثن الكفين والقديم ، شثن الكعبين ، اذا مشى كأنما يتقلع من صخر، اذا أقبل كأنما ينحدر من صبب ، اذا التفت التفت جميعاً باجمعه كله ، ليس بالقصير المتردد ، ولا بالطويل المتمعّط » .

«وكان في وجهه تدوير، اذا كان في الناس غمرهم ، كأنما عرقه في وجهه اللؤلؤ، عرفه اطيب من ريح المسك ، ليس بالعاجز ولا باللئيم ، اكرم الناس عشرة ، والينهم عريكة ، واجودهم كفاً » .

«من خالطه بمعرفة احبه ، ومن رآه بديهة هابه ، عزة بين عينيه ، يقول باغتة :

«لم ارَ قبله ولا بعده مثله ، صلى الله عليه وسلم تسليماً » . (١)

«وكان فخماً مفخماً ، في العيون معظماً ، وفي القلوب مكرماً ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر عظيم الهامّة ، رشيق القامة ، واسع الجبين ، اقنىٰ العرنين ، طويل الزندين » . (٢)

---

(١) البحارج / ١٦ ص / ١٤٧

(٢) البحارج / ١٦ ص / ١٨٠

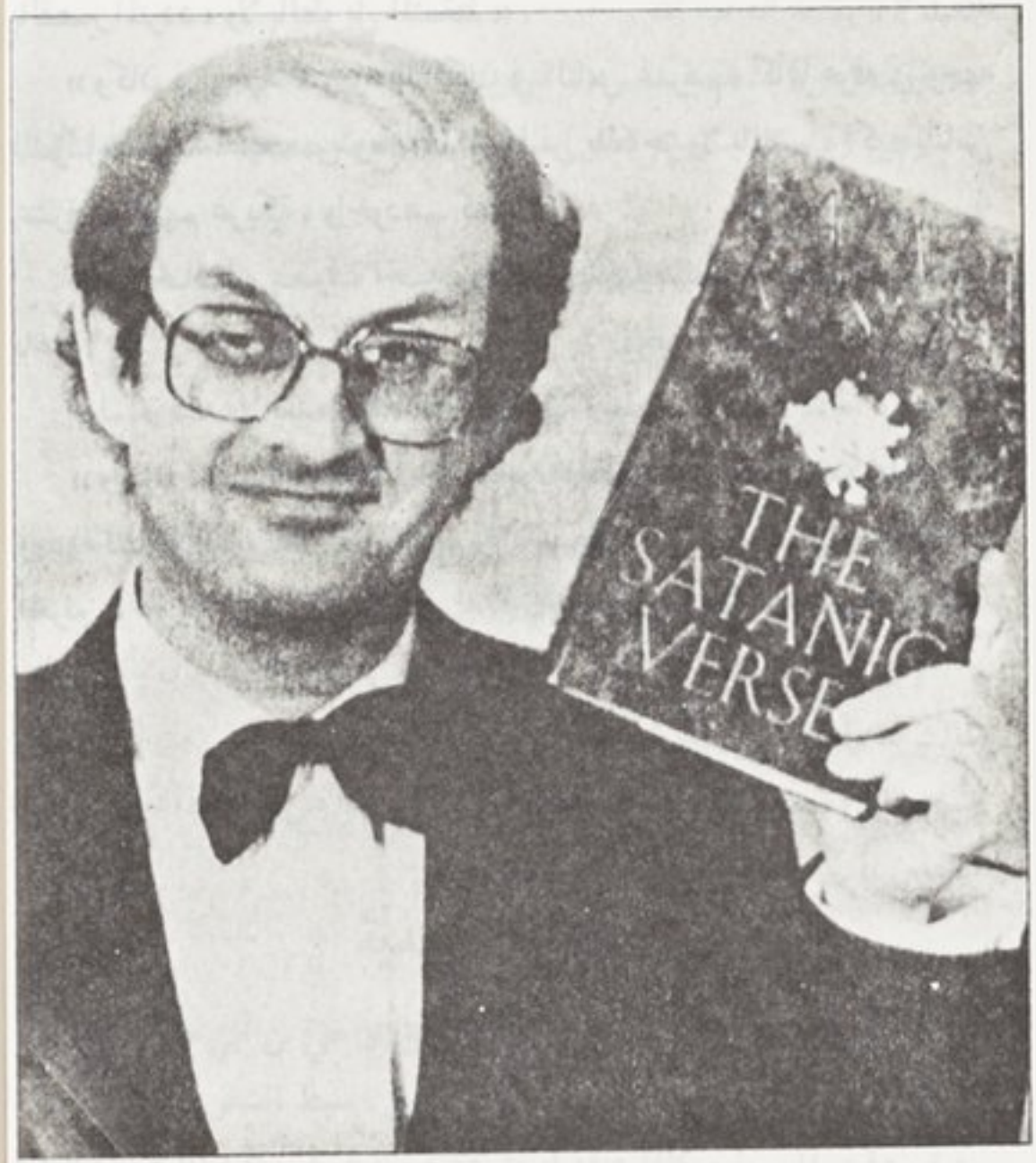
THE
SATANIC
VERSE

ماذا في الكتاب ؟

قبل أن نستعرض بعض ما جاء في الكتاب ، ونحكم له أو عليه لا بدّ من تحديد المقياس الذي نعتمده في ذلك ، فنحن نرى ان أمرين أساسيين يجب اخذهما بعين الاعتبار في تقييم اي عمل يصدر من الانسان :

أولاً ــ مدى تطابقه مع الحق .

ثانياً ــ مدى تأثيره الخيّر في الواقع الخارجي .

وهذا يعني ان « المحتوى » وليس « الاطار » هو الذي يتم التقييم على اساسه ، فقد يكون « عمل شريّر » موضوعاً في قالب جميل ، أو قد يكون لعمل جميل تأثير سلبي فيما يرتبط بالخير والشرّ ..

ترى .. ايّهما يجب الانسياق وراءه « ذوق » الانسان ، أم « ضميره » ؟

وايّهما الاجدر بالاحترام تذوق الجمال ، ام المبدأ الأخلاقي ؟

وايّهما الافضل الالتزام بالمثل والقيم ، ام محاربتها ؟

ويمكننا القول هنا بأن هناك بصورة عامة نموذجين من المجتمع :

نموذج يقوم فيه النشاط أساساً على الدوافع الجمالية .

ونموذج يقوم فيه النشاط على الدوافع الاخلاقية أولاً .

وهذا الاختلاف الأساسي ليس مجرد اختلاف شكلي ، إنه يؤدي إلى نتائج تاريخية ذات أهمية كبيرة ، فالنموذجان اللذان يختلفان هكذا ، بسبب اختلافهما في ترتيب عناصر الثقافة لا يتطوران في اتجاه واحد ، بل إنه في بعض الظروف تنشأ بينهما تناقضات جذرية ، حتى إن الأمر الذي لا يريد أحدهما ــ بل ولا يمكنه أن يريد تحقيقه لسبب أخلاقي ، نرى الآخر يحققه لسبب جمالي .

والاختلاف هذا يعود إلى الأصول البعيدة ، فالثقافة الغربية قد ورثت ذوق الجمال من التراث اليوناني الروماني ، أما الثقافة الإسلامية فقد ورثت « الشغف بالحقيقة من بين ميزات الفكر السامي » (١) .

« تبرز أهمية الفن الجميل في أحد موقفين :

فهو إما داع إلى الفضيلة وإما داع إلى الرذيلة » (٢) .

اننا لا نرى جمالاً للقتل ، حتى وان جاء بطريقة جميلة ، ولا نتذوق العدوان ، حتى وان جاء في قالب عمل رائع ، ولذلك لن نحترم الادب اذا كان داعياً لنبذ القيم ، ولا نرتاح لقصّة تجرح كبريائنا ، حتى وأن اراحت اذواقنا ؟

فالكذب يبقى كذباً حتى في قالب الصدق ..

والعهر يبقى عهراً حتى في قالب الطهر ..

والاحتيال يبقى احتيالاً حتى في قالب القانون ؟

لقد قال أحد النقاد الانجليز عن كتاب « رشدي » : « انه عمل ممتع بشكل لعين ، وعبقرية شيطانية » (٣) .

ولكننا لا نستطيع ان نفهم هذه العبقرية ، والاّ فكيف نردّ عبقرية « هتلر » وذكاء « غوبلز » ، وشجاعة كل القتلة في التاريخ ؟

بل لماذا نرفض إبليس ؟

لقد صدق ربنا الذي قال : « **ولئن سئلتهم ، ليقولن « انما كنا نخوض ونلعب » قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون** » (٤) .

---

(١) « شروط النهضة » مالك بن نبي ص ٩٩

(٢) المصدر ص ١٢٥

(٣) London Review of Books , Okt., 1988

(٤) سورة التوبة ــ القرآن الكريم ــ ٦٥

ونعود الى التساؤل ماذا في الكتاب ؟

ربما كان عنوانه كافياً لمعرفة ما في الكتاب ، ولكن ما جاء في داخله ، هو اكثر بشاعة من عنوانه بكثير ..

ففي ٥٤٧ صفحة و ٢٥٠ ــ الف كلمة تقع رواية تحمل عنوان The SATANIC VERSES وهي من منشورات «Penguin viking» وقد ألفها صاحبها بطريقة ما يُصطلح عليه «بالواقعية الاسطورية» «Mugic realism» حيث يمزج الخيال بالواقع ، من غير ان يكون فيه اي فكر ، او ثقافة ، أو ابداع .. كل ذلك باسلوب يكاد يضيع معه الفارق بين «الروائي» و «التاريخي» . فاسلوب رشدي سريالي الى حد بعيد ، لا يسمي الاشياء باسمها بل باسماء مشابهة ، الوصف عنده غير ثابت او نهائي ، والشك يحوم حول كل شيء ، و يستعمل رشدي الكثير من التعابير العربية والهندية والشعبية الانجليزية بشكل لاذع و بلغة نابية احياناً .

وتضم الرواية ثلاث شخصيات رئيسية هي :

١/ ممثل هندي يُدعى « جبريل فاريشتا » (وفاريشتا تعني الملاك في اللغة الاوردية) .

٢/ ومنفي هندي اسمه « صلاح الدين شمشة » (وشمشة تعني المتملق باللغة الهندية والصينية) .

٣/ و« ماهوند » ــ Mahound [1] ــ (وهي كلمة مرادفة في المعنى لابليس) و يصوره رشدي كنبي من مدينة صحراوية ، يسميها « جاهلية » .. وهي مدينة لرجال الاعمال (يقصد بها مكة) .

تبدأ الرواية في الجو ، حيث يلتقي جبريل وصلاح الدّين على متن طائرة

---

(١) هو الاسم الذي استعمله المبشرون في العصور الوسطى للأشارة الى رسول الله محمد (ص) .

تابعة للخطوط الجوية الهندية « AIR INDIA » وتتعرض الطائرة للاختطاف ، حيث ينتهي الأمر بتفجيرها فوق القناة الانجليزية من قبل الخاطفين ، ويموت الجميع ، الّا ان جبريل وصلاح الدين يُعاد بعثهما من جديد في شكل تناسخ للارواح « فلكي يعاد بعثك يجب ان تموت اولاً .. » ــ هكذا تقول الرّواية ــ .

ثم تصور الرواية تغييرات روحية وجسمية في كل من جبريل وصلاح الدّين ، فجبريل يرى هالة من نور حول رأسه ، بينما صلاح الدين يرى قروناً في رأسه ، وذيلاً في ظهره ، وشعراً كثيفاً على جسمه كلّه ، فيصبح مثل معزٍ وحشي .

وتصف الرواية كيف تسقط هاتان الشخصيتان معلقتين ببعضهما البعض وهما ينشدان اناشيد متعارضة ، ومع التغييرات الجسمانية ، تتغير روحاهما ايضاً وتضيع هويتهما وتتداخل ببعضهما البعض .

وعلى الشاطيء الانجليزي ، حيث سقطا تفتح لهما امرأة عجوز باب بيتها ، ولا تلبث الشرطة ان تقرعه مرةً ثانية لتعتقل صلاح الدين بتهمة دخول البلاد بشكل غير شرعي ، و يتعرض للتعذيب من قبلهم .. فيبدأ الشرق والغرب يتصارعان في دماغه ، امّا « جبريل » فيحكمه هاجس آخر هو : الشك واليقين ..

ثم ان جبريل يعيد رؤية ولادة الاسلام في حلمه ، وهنا يدخل مدينة في وسط الصحراء والرّمال اسمها « جاهلية » وهي كما تصفها الرواية ــ مدينة دائرية الشكل يملأها الفساد و يعبث فيها السارقون والعاهرات وتعيش من المردود الذي تجلبه الاصنام باجتذابها لقوافل التجار ، وهي مدينة تكره الماء والسقائين لانها مبتنية من الرمل ..

و يتابع جبريل حلمه ، بعد ان اصبح الملاك جبريل فيروي بدايات الدعوة مستعملاً عبارات نابية احياناً ، ومشككاً متسائلاً بشكل دائم حول مصير الدعوة .

وفيما يلي بعض المقتطفات من الكتاب ..

ـ ● « في مدينة الجاهلية رجل الأعمال الذي يتحول إلى نبي واسمه ماهوند يقوم بتأسيس أكبر الأديان في العالم .. هناك صوت يهمس في أذنه : أي نوع من الفكر أنت ؟ إنسان أم جرذ ؟ » (١) .

ـ ● « البطريرك إبراهيم قدم لهذا الوادي مع زوجته هاجر ، وابنهما إسماعيل . هنا في هذه المنطقة الموحشة يهمل زوجته . سألته :

« هل يمكن أن تكون هذه رغبة الإله :

فيجيب : نعم هذه هي رغبة الإله .

ثم يذهب ابن الزنا هذا » (٢) .

ـ ● « هناك السقاء خالد ، وعربيد من فارس باسمه الغريب سلمان ، وحتى يكتمل هذا الثالوث في الغثاء هناك العبد بلال ، الذي حرره ماهوند ، وهو وحش شديد السواد » (٣) .

ـ ● « عاش المؤمنون بلا قانون ، ولكن في هذه السنين فإن ماهوند ، أو بالأحرى أن نقول الاله الواحد رئيس الملائكة جبريل ؟ أم الأ ولىٰ أن نقول الله (ALLAH) أصبح لديه وسواس وضع القوانين . ظهر جبريل للنبي ، فوجد نفسه يطلق أحكاماً وأحكاماً ، حتى وصل المؤمنون لحد لا يستطيعون معه تحمل أي وحي جديد إلا بعناء كبير ، عندها قال سلمان :

« أحكام على كل شيء ؟ . يالله !! ، إذ أخرج الإنسان ريحاً فليدر وجهه للرياح ، حتى حدّد أي اليدين يستعمله الواحد لتنظيف مؤخرته » (٤) .

---

(١) الآيات الشيطانية ص ٩٥

(٢) المصدر ص ١٠١

(٣) المصدر ص ٣٦٣

(٤) المصدر ص ٣٦٤

ـ ● « قال الوحي للمؤمنين كم يأكلون ؟ كم ينامون ؟ وأي الأوضاع الجنسية قد حرّمت ، حتى تعلموا أن اللواطة ، ووضع الجماع المباشر قد أقرّا من قبل رئيس الملائكة » (١) .

ـ ● « وقد حدد جبريل رئيس الملائكة أسلوب دفن الإنسان ، وكيف تقسّم ممتلكاته ، حتى أن سلمان الفارسي أخذ يتساءل : ما أسلوب الإله هذا الذي يبدو تماماً كأنه رجل أعمال » « Besnes Man » (٢) .

ـ ● « وأخيراً كان الذي أنهى علاقة سلمان بماهوند هي قضية النساء « والآيات الشيطانية » . أفضى سلمان ما في نفسه وهو مخمور : « اسمع ، أنا لست ممن ينهمك في القيل والقال ، ولكن ماهوند بعد وفاة زوجته لم يكن ملاكاً ، أنت تفهم ماذا أقصد ففي يثرب التقى بمن يوافقه ، بينما نسوة يثرب حولن نصف لحيته إلى بياض في مدة سنة » (٣) .

ـ ● وتتحدث الرواية عن دخول الحجاب وتقول عنه : « الحجاب هو اسم لاشهر بيت للدعارة في مدينة الجاهلية » ثم يصف البيت وصف قصور الجنة كما ترد في القرآن ، كقصر تجري من تحته الانهار فيه اعناب ونخيل ... و يتبين من مجريات الرواية ان ذاك البيت للجميع وفيه اثنتا عشرة امرأة « عاهرة » طلبت من « ماهوند » ان يتزوجهن واصبحن زوجاته واصبح اسمه هو « بطل » وتسمى احداهن عائشة والاخرى ام سلمة » .

ـ ● « لم يكن من اللائق ان يقف الرجال (اي الزبائن) بالصف على طول الشارع (انتظاراً لدورهم) ... لهذا فهم كانوا يدورون حول نبع الحب الواقع في قلب بيت الدعارة ، كما يدور الحجاج لاسباب اخرى حول الحجر الاسود القديم » .

---

(١) المصدر ص ٣٦٤
(٢) المصدر ص ٣٦٧
(٣) المصدر ص ٣٦٦

ـ ● وتحكي ايضاً في احد الفصول : « ان ماهوند او بعل ، كان يتعرض لنفس الحالات النفسية والروحية التي مر بها الرسول محمد عند نزول الوحي عليه « فالشعر الذي يراوده في هذه الحالة هو من اعذب ما كتب » .

ذلك انه من وقت لآخر . خاصة عندما يكون عند عائشة ، كان يشعر بالارتخاء والانحلال يحتاجه ، فيشعر بالثقل و بأن عليه أن ينام . وكان يقول لها (اي لعائشة) : « غريب ، اشعر وكأنني واقف الى جانب نفسي ، فيمكنني عندئذ ان آمر ذاك الذي يقف الى جانبي بان يتحدث ، ثم انهض واكتب الآيات » .

كما يتطرق الكتاب الى سلمان الفارسي الذي ينعته « بالناسخ » الذي يشوه ما ينصه عليه ماهوند من دون ان يشعر هذا الاخير بذلك » .

ـ ● وعن سلمان الفارسي تقول الراو ية انّه : « عندما كان ماهوند ينص على آية ما يوصف فيها الله بالسميع العليم ، كنت اكتب العليم الحكيم ، والمشكلة ان ماهوند ما كان ليكشف التزو ير الحاصل . وكنت بالتالي اكتب الكتاب واعيد كتابته . مشوهاً بذلك كلام الله بكلامي الفاني » .

« فالرسول لا وقت لديه للتشكيك والتأكد فهو ليس ملاكاً » .

« هل ظننت . انك تستطيع وضع كلامك في وجه كلام الله » .

ـ ● وفي بعض كلماته اتهام لرسول الله (ص) « بالشذوذ الجنسي » !

ـ ● والآيات تتداخل على « ماهوند » فمرة ابليس اوحى اليه . فجبريل اوحى اليه « افرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى » وابليس كمّلها « تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى » [1] .

ـ ● ثم تنتقل الرواية الى القرن العشرين ، حيث يصادفنا « امام ، عيونه

---

(١) المصدر ص ١١٤ ـ ١١٥

بيضاء كالغيوم » يقول مؤذنه :

« سنقوم بثورة .. ضد التاريخ . والتقدم والعلم والحقوق » .

« التاريخ انحراف عن السبيل ، المعرفة سراب ، لأن مجموع المعرفة كان تاماً يوم اتم الله رسالته الى ماهوند » .

« وحين يـأخذ الامام جبريل ليريه شباناً يسيرون لتعدمهم الثورة بالرصاص يقول : « أترى كم يحبونني . ما من سلطة مستبدة على الارض تستطيع تحمل قوة هذا الحب البطيء السائر ... » .

من هو المؤلف ؟

● «سلمان انيس رشدي» ولد في بومباي عام ١٩٤٧ قبل شهرين من استقلال الهند ونشوء دولة الباكستان ..

● والده مسلم من كشمير، وهو رجل اعمال ثري، وكانت العائلة تتكلم الانجليزية والاردو في البيت. وكانت الانجليزية هي الغالبة.

● التحق، اولاً بمدرسة تبشيرية انجليزية، وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره ارسله والده الى «روغبي» في بريطانيا، حيث كمّل هناك على أيدي اساتذة غير مسلمين ما تعلّمه من المبشرين في الهند.

● حين انهى فترة المدرسة هناك تمنى على اهله السماح له بالعودة الى الهند نهائياً، الّا ان اباه اصرّ عليه للالتحاق بجامعة «كامبريج» حيث حصل على قبول لدراسة التاريخ .. (١٩٦٥ ــ ١٩٦٨).

● لقد اصطدم رشدي في بريطانيا بالعنصرية، وعانى منها باعتبار موطنه، وجنسيته و بشرته ..

● بعد تخرّجه من الجامعة توجه الى باكستان، وذلك بعد غياب سبع سنوات من عائلته، وكانت حينئذٍ قد انتقلت إلى هناك، وحصل على وظيفة في التلفزيون الباكستاني، سرعان ما تركها وعاد الى بريطانيا حيث انتقل بين مجموعة اعمال، إستقر اخيراً على احتراف الكتابة.

● تزوج مرتين الأولى ــ بالانجليزية «كلاريسا» التي انفصل عنها فيما بعد .. والثانية ــ بالامريكية «ماريان و يغنز» وهي كاتبة روائية صدرت لها مؤخراً رواية تتناول فيها المعتقدات المسيحية بالسخرية والنقد اللاذع.

● صدر له حتى الآن خمس روايات، هي:

١/ «غريموس» GRIMUS صدرت عام ١٩٧٥.

٢/ «اطفال منتصف الليل» Midnights children صدرت عام ١٩٨١.

وهي رواية تعتبر بمجملها ضد ثقافة الهند، بما فيها من عادات وتقاليد اجتماعية ودينية، كما أنّها تدين ـ بطريقة غير مباشرة ـ نضالات الشعب الهندي ضد الاستعمار الانجليزي، وتدعو «اطفال منتصف الليل» الى ثورة اخرى هناك..

وتعرض رشدي في هذا الكتاب لرئيسة وزراء الهند السابقة «انديرا غاندي» و ينقل عن ولدها «سنجاي» ان امّه اشتركت في قتل أبيه، مما حدى بانديرا غاندي الى اقامة دعوى قضائية ضده لدى المحكمة حيث ربحت الدعوى، وحصلت على اعتذار عام من المؤلف ودار النشر، بالأضافة الى تحمل دار النشر نفقات القضية، كما حصلت على حق حذف ما تراه غير مقبول من الكتاب..

وقد فازت رواية «اولاد منتصف اللّيل» بجائزة «بوكر» Booke Prize.

والجدير بالذكر ان تلك الرواية ترجمت الى ثلاثين لغة ـ منها الفارسية والعربية والأردو.

٣ ـ العار «Shame» صدرت عام ١٩٨٣.

وفيها يتناول «رشدي» الحياة في باكستان، و يدين ثقافة باكستان وقيادتها ايضاً. وقد منعت في وقتها من دخول باكستان، كما منعت رواية «اطفال منتصف الليل» من دخول الهند..

وهذه الرواية ايضاً ترجمت الى لغات عديدة منها الفارسية، والتي حصلت في ايران عام ١٩٨٨ على جائزة افضل ترجمة[١] !!

٤/ «ابتسامة الجاكوار» Jaguar smile.

وهي رواية تتناول تجربة الثورة في نيكاركوا حيث دعى المؤلف الى هناك

---

(١) جريدة اطلاعات عدد ١٨٦٩٩ تاريخ ٢٨/فبراير/١٩٨٩

بمناسبة الذكرى السابعة لانتصار الثورة ، ولكنه حينما عاد انتقد الثورة بعبارات لاذعة ، منها قوله : « ان كل ثورة تنتهي الى الخيبة في الآمال . فكل ثورة تقتل اولادها ، ثم تتحول الى نفس الشيء الذي كانت هي تحارب وتناضل ضدّه . . » .

٥/ « الآيات الشيطانية » The SATANIC VERSES صدرت في اكتوبر عام ١٩٨٨ .

وقد فازت بجائزة « و يثبرد » whisbird .

والجدير بالذكر أن تقييم « سلمان رشدي » لروايته هذه لا تتعدى كونها تعبّر عن نظرة انسان ملحد . وهو في ذات الوقت لا مانع لديه من ان يكذب و يتناقض مع نفسه فيقول : « انه لا يزال هناك مكان في قلبه . . لله » !

ثم يدعي ان الكتاب ليس ضد الاسلام !

يقول في رسالة له الى رئيس وزراء الهند ــ بعد منع الكتاب هناك . .

« ان الكتاب ليس عن الاسلام ! ولكنه عن الهجرة والانسلاخ وانقسام الذات والحب والموت ولندن و بومباي » !

« وان الكتاب عالج قضية نبي ليس اسمه محمداً » .

و « انّ أحداثَ الرواية تجري ضمن رؤية خيالية لشخصية خيالية » ! « في هذه الأحداث التي تجري في الرواية ، أحاول أن أقدم وجهة نظري حول ظاهرة الوحي ومولد دين عالمي كبير ، وأن هذه النظرة تمثل نظرة إنسان ملحد ، كان للثقافة الإسلامية وما تزال أهمية مركزية طوال حياته » !

* * *

من خلال هذا الاستعراض السريع لحياة الرّجل ، وفي قراءة سريعة لخلفيات مواقفه . . تتكشف الامور التالية :

اولاً ــ ان الرّجل ــ وقد انسلخ عن ذاته ــ يمثّل شريحة من اولاد البلاد المستعمرة الذين يعانون من « عقدة الحقارة » تجاه مستعمريهم ..

فهو الهندي الذي لم يتعلم ثقافة امته وعائلته الّا من خلال الكافرين بها ..

وهو المهاجر الذي عاش في المجتمع البريطاني منبوذاً من قبل أولاد الانجليز ، مطروداً من قبلهم بسبب بشرته وارومته ، وجنسيته .

ولانّه لم يتشبّع بثقافة امّته ، وانسلخ من وطنه ، وعائلته ، ودينه فقد حاول دائماً ان يقوم باي شيء ليصبح مقبولاً لدى المجتمع الغربي .

ثانياً ــ ان الرّجل يعيش حالة من التناقض الحادّ في داخله يعبّر عنها بالسّريالية ، تارة ، والتناسخ العقائدي والنفسي تارة أخرى ، ولانّه يعتبر أصله وأرومته مصدر ازعاجه ، فان الاسلام ، عنده « تهمة » لا بد من دفعها عن نفسه باية طريقة ممكنة فيحاول تبرئة نفسه بشتم اصوله ، وكل مقدسات آبائه .. لعله يحصل على التعميد في المجتمع الغربي ، وشهادة انتماء من قبلهم ..

ثالثاً ــ ان الرّجل لكونه « شرقياً » فهو يحاول الهروب من كل ما هو شرقي ، او له ايّة صلة به ومحاولات تقليده لشباب الغرب تدّل على ذلك فهو يأخذ من كل مكان اسوأ ما فيه ، بما في ذلك مسألة الارتباط بامرأة ، ثم الانفصال عنها ، ليرتمي في احضان أخرى ..

رابعاً ــ ان الرجل يعاني من الشذوذ الفكري ، كما يعاني من الشذوذ العقائدي ، فهو جريء في اطلاق الكلمات ضد معانيها ، كاطلاق « الحجاب » لبيت الدعارة ، واطلاق « الجاهلية » لحضارة الاسلام وهو ايضاً يبحث عن بعض الروايات التاريخية الشاذة والكاذبة ــ كقصة الغرانيق ــ وكأنه لم يجد في المليوني كتاب الموجود لدى الناس عن الاسلام الّا تلك الرواية .

خامساً ــ انّ الرّجل لكل ما سبق تحول الى انتهازي من الدرجة الاولى ،

وقد اتهمه بذلك اشهر كتاب قصص الاطفال في بريطانيا . المهم عنده أن يبيع ما يؤلفه ، وان يكون له صوت بين ملايين الأصوات .. ان يكون معروفاً حتى وان كان على طريقة من يقتل الابرياء و ينتحر حتى توضع صورته في الجريدة .

وهكذا تجمعت في الرّجل كل الصفات التي تجعله فريسة جيدة لاستخدامه ضد قيم الاستقلال والحرية والايمان والاسلام .

ولأنّه ينتمي للعالم الثالث فان من يقف ورائه يبقى بريئاً ، فتترك رواياته وكتاباته تأثيرها على ابناء هذا العالم .

والاّ قل لي بربك كيف يسمح رشدي لنفسه ان يكتب فقط ضد ابناء شعبه في الهند و باكستان ، ثم ضد الثائرين في نيكاركوا ، وضد مقدسات المسلمين في العالم ، و يبريء ساحة الاستعمار في التاريخ ، بينما لا نجد له ايّ ذكر عن جرائم المستعمرين ؟

انّه « الرّد » الاستعماري على مفكرين من امثال « فرانز فانون » و « ريجيس دو بريه » وغيرهم من الذين دافعوا عن الشعوب المضطهدة .

من يقف وراء الكتاب وما هي جذور التهم ؟

هل تتلخص قضية كتاب « الآيات الشيطانية » في كونها مجرد رواية ادبية كتبت ببلاغة لغوية صارخة ، من غير ان يكون هنالك اي دافع شيطاني ورائها ؟

هل هي نزوة كاتب رأى في الشذوذ عن القاعدة ، وسب الانبياء والرسل والمطهرين جميعاً ، سبباً للشهرة وكسب الربح المادي ، وتحقيق اكبر قدر ممكن من المبيعات ؟

وهل كان الذي ألفه ، والذين نشروه يعرفون مسبقاً ما يمكن ان يؤدي اليه مثل هذا الكتاب ؟

هل هي مجرد « لوحة لم يسبق ان رسمت لوعي انسان معاصر من العالم الثالث لعلاقته بتاريخه والاقتراب بهذه الحدّة من علاقة الايمان بالموت » ــ كما يقول احد زملائه في المعتقد ــ ؟

ان الادب والبلاغة الادبية ، ليست تبريرات لتأليف روايّة تستهدف مقدسات ديانة حيّة لها معتنقوها والمؤمنون بها ، والعاملون لها ، والذين ترتفع لهم اكثر من ٧٠ علماً فوق مبنى الأمم المتحدة ..

ذلك اننا وجدنا تاريخياً ان الذين تطاولوا على رسول الله محمد (ص) كانوا يختفون وراء مقطوعات من الشعر او النثر او التنكيت او ما شابه ذلك ، فابتدأ من بداية البعثة النبوية الكريمة ، ومروراً بعصر الحروب الصليبية وانتهاء بيومنا هذا كانت « البلاغة الادبية » هي مطية التهجم على الاسلام ورسوله .. وكانت غالباً ايضاً بطريقة غير مباشرة كما فعل سلمان رشدي في كتابه هذا ..

فليس هذا الكتاب أول اصدارة في هذا الشأن ولن يكون الأخير.. الّا ان الوقوف معه ، وتلاوته ككتاب مقدس في الشوارع ، ، وجمع التواقيع تأييداً لمحتواه

يجعلنا نتساءل هل جاءت الرواية مصادفة في هذا الزمن ؟

ان مؤسسة بنجيون Penguin التي نشرت الرواية تعرف سلفاً مخاطر نشرها ذلك ان « كواشوانت سينك » مستشار المؤسسة المذكورة في الهند قال في مقابلة له مع مجلة « IMpact International » بتاريخ ٢٨/اكتوبر/١٩٨٨ « ان ناشري الرواية ارسلوا نسخة لي لمعرفة رأيي حول ترجمتها الى الهندية ، ونشرها مع الاصل الانجليزي في وقت واحد ، وبعد مطالعتها بدقة ذكرت لهم ان نشر هذه الرواية ليس صحيحاً ، ولا مصلحة فيه ليس فقط في الهند بل في اي مكان آخر ايضاً » .

« وقلت لهم ايضاً : لقد صوّر النبي محمد في هذه الرواية على انه دجّال ، وان كان المؤلف لا يدرك ان هذا العمل قد يسبب المشاكل ، فلا شك انه لا يفهم ابداً حقائق الأمور » .

ويضيف « سينك » : « من خلال معرفتي بسلمان رشدي ، وسوابق اعماله ، فاني أؤكد ان الرجل كان يعرف تماماً ما يترتب على نشر روايته » (١) .

ثم ان الذين رشحوا الكتاب لنيل الجائزة الأدبية والذين عملوا الدعايات اللازمة له ، كلّهم من الذين لهم سوابق لا بأس بها في معاداة الاسلام ، كما ان لهم المصلحة في ذلك ..

فجريدة « صنداي تايمز » Sunday Tims التي يملكها اليهودي المعروف « Rubert Mordoch » كانت أول جريدة عملت الدعاية للكتاب ، وقالت عنه :

« قطعة فنية رائعة ، في شكل رواية تعتبر اكثر طموحاً من اي عمل آخر كتب هذه الأيام » .

امّا من يقف وراء هذا الكتاب ؟ واي شيء يستهدفون من ورائه ؟

فانني اعتقد ان هنالك اصابع لصهيونيين من اليهود ، وذلك بدليلين :

الأول ــ ان اليهود تاريخياً كانوا هم الذين اتهموا انبيائهم بكل الشنائع التي كانوا ــ هم ــ يرتكبونها ، ولربّما كتبرير لأعمالهم .

فليس هنالك نبي بعث في بني اسرائيل إلّا وتعرض لتهم مختلفة في نفسه ، او عرضه ، او أهله ، او معتقده ..

ولقد حاولوا دس الافتراءات المختلفة على بقية الانبياء والرّسل ، ومنهم خاتم الانبياء (ص) .

الثاني ــ ان هؤلاء هم الجهة الوحيدة التي استفادت من نشر هذه الرواية ، فلا مصلحة للمسلمين ، ولا للمسيحيين في ذلك ، ولكن المصلحة ــ كل المصلحة ــ للصهيونية فيه لانها تحاول دائماً خلق حواجز بين الطرفين ، لتمنع المسلمين ــ خاصة في الغرب ــ من ان يصبحوا قوة ذات تأثير ، ولتجعل المسيحيين في مواجهة المسلمين ، وليس اليهود كما يفترض ..

فمن مصلحة الصهاينة تشويه صورة الاسلام والباس الحق فيه بالباطل ، وابعاد الناس عن الهدى واستغلال اية « ردة فعل » محتملة من قبل المسلمين لزيادة الخلاف مع المسيحيين من جهة ولاستعداء الحكومات ضد المسلمين من جهة أخرى ..

... وبعد كل ذلك فلن نستغرب حينما نقرأ ان دار بنجوين دفعت مبلغ (٨٥٠) الف دولار لسلمان رشدي كحق التأليف لنشر روايته !!

The marked man: a writer driven by life to dissent

PROFILE

GARY

Moslems fail to win blasphemy backing

Religion Can Be Taken Seriously

Commentary • YAQUB ZAKI

Rushdie's real crime

OBSERVER

Rushdie: Why The

Works of art need no apologies

الكتاب في الصحافة الدّولية

ليس في مقدورنا استعراض كل ما قالته الصحافة عن كتاب « الآيات الشيطانية » ولكننا نكتفي ببعض النماذج من اقوال الصحف ، من مختلف الاتجاهات ..

تقول مجلة المستقبل التي تصدر في باريس :

« انّ الغرب يعتبر « حرية المعتقد » قدس الأقداس بينما يعتبر الشرق « الاسلام » قدس اقداسه فلماذا كان « قدس اقداسهم » محترماً ، ولا يكون قدس اقداس الآخرين كذلك ؟

وتقول المجلة في عدد آخر لها :

« لقد اصبحت قضية سلمان رشدي وكتابه ، قضية ذات ابعاد دولية وفكرية ، و بين حكم الاعدام الذي صدر ضده ، والتظاهرات التي خرجت في انحاء متعددة من العالم تحولت القضية الى صراع بين الشرق والغرب ، و بين مفهومين للحرية الفكرية والدينية يبدوان متعارضين الى درجة الصدام المباشر ، واذا كان الدم قد سال في الهند و باكستان خلال تظاهرات ادانة سلمان رشدي وكتابه ففي الغرب اصيب الجميع بالصدمة وهم يسمعون في شوارعهم دعوات لتنفيذ حكم الاعدام برشدي ، في المظاهرات التي قامت ضده ، وكان لها ردود فعل لدى الاوساط الحاكمة حيث اصدر رئيس الوزراء قراراً بتحو يل اي شخص يدعو الى القتل في الشوارع الى المحاكم وعلى ان يصل الحكم ضده الى خمس سنوات سجن [1] ! » .

---

(١) المستقبل عدد ٦٢٨ ــ ٤ مارس ١٩٨٩

وتقول جريدة « اطلاعات » الايرانية :

« ان الغربيين كانوا يحاولون دائماً ان يظهروا وكأنّهم غير متعصبين ضد الديانات السماوية ، ومعتقدات الناس في العالم ، وكانت دعاياتهم تركز على المعسكر الشيوعي ، باعتباره حامل راية « الالحاد » وجارح كبرياء عقائد الشعوب .. ولكنهم مع صدور كتاب الآيات الشيطانية ، ودفاعهم المستميت عنه كشفوا عن حقيقة ما يعتمل في نفوسهم[١] » .

وتقول جريدة « المجاهد » الجزائرية :

« ان دفاع الغرب عن سلمان رشدي ، والتدابير الامنية المتخذة للدفاع عنه ، والتي تتجاوز التدابير المتخذة للحفاظ على حياة البابا ، ثم محاولة ردّ الاعتبار للرجل ، والدعاية لكتابه ، من قبل اولئك الذين يحامون عن اسرائيل ، و يدافعون عن جنودها الذين يقتلون الابرياء كل يوم في فلسطين المحتلة ، ان ذلك يكشف عن رياء كبير ونفاق لا حدود له .. وعلينا ــ وخاصة الازهر ــ ان نستفيق من الرقاد تجاه ما يحاك ضدنا وضد قيمنا »[٢] ..

وتقول مجلة « الشراع » اللبنانية :

« ان موضوع كتاب الآيات الشيطانية يطال الاسلام والرسول بشكل خاص ، وهو يشمل كل المذاهب الاسلامية ، فهو بشكل او بآخر « قضية مشتركة » تتوحد عليها ضمائر المسلمين وان كانت تحفظات الكثيرين منهم لاسلوب الطرح قد ظهرت حول ردة الفعل ، ولكنه من حيث جوهر القضية يرون انها قضية « محقة » بالنسبة للمسلمين ومن صميم عقيدتهم » ..

---

(١) جريدة اطلاعات ١٤ ــ مارس ١٩٨٩

(٢) صحيفة المجاهد الجزائرية ٢١/فبراير/١٩٨٩

واضافت المجلة تقول :

« ولقد « فوجيء » بعض المثقفين ، بان كثيراً من المسلمين رأوا في هذا الاسلوب « عملاً جريئاً » . و « رادعاً » في المستقبل ، كما ان مسلمين كثيرين انحوا باللائمة على الدول الاسلامية التي لم تتخذ قراراً حتى الآن يشجب الكتاب او بحظر توزيعه » .

« واذا كان لبريطانيا من وجهة نظرها مايبرر وقوفها المدافع عن الكاتب بهذه الطريقة « الصدامية » مع ايران لدرجة سحب الدبلوماسيين « لان الكاتب يحمل جنسيتها » ، فان المواطن المسلم العادي لا يستطيع تفسير تهديد بعض الدول الاوروبيةوالغربية مثل المانياالغربية ودول السوق الاوروبية ، الا عصبيتها ضد الاسلام نفسه وتحبيذاً لتحقير العقيدةالاسلامية ، بدافع من احقاد « صليبية » دفينة . (١)

وتقول المجلة المذكورة في عدد آخر :

اللافت في هذه القضية . ان الذين ثاروا للدفاع عن كاتب اهدر دمه . لم يتعرضوا بكلمة واحدة او اشارة او لفئة خجولة . او بهمسة نقد او إعابة او لوم على «آيات شيطانية» هدرت دون ادنى تحفظ او مراعاة دم المشاعر الانسانية والاخلاقية لملايين من البشر يعتنقون الاسلام و يتبعون سيرة رسول طاله الكتاب بالتجريح والشتم دون اي سند تاريخي او موضوعي او علمي يُركن اليه . وهوعند المسلمين نبي الله الى العالمين وخاتم المرسلين (ص) .

٥

خاطرت بكتابي حتى اصدم الناس ، هذا ما قاله سلمان رشدي ، وإذا كان من حق اي انسان ان يعبر و يتكلم ويخاطر ، إلا ان السؤال ما هي المعايير

(١) مجلة الشراع اللبنانية / العدد ٣٦٢ ــ ٢٧ فبراير ــ ١٩٨٩

والمقاييس بين البشر للمخاطرة والكشف وصدم الناس ، واية حقيقة انسانية خاطر رشدي للكشف عنها تدفع بالانسان نحو الامام . في المعرفة والعلم والتقدم في سبيل سلام الانسانية وخيرها .

ربما مثل تلك الاسئلة هي جوهر المشكلة الفكرية السياسية الحضارية التي قامت الان حول «آيات شيطانية» وإذا كان موضوع حرية الرأي والكلمة أمراً مسلماً به لاي انسان ، إلا ان الموضوع هنا اختلف وخرج عن نطاق الحرية والديمقراطية في موضوع رشدي نظراً لما تضمنه كتابه من دس وافتراء على الاسلام وحقيقته عبر التاريخ . بما لا يؤذي المسلمين فقط بل الانسانية كلها في حقيقة وجودها وتقدمها . (١)

وتقول مجلة « الهلال الدولي » التي تصدر من لندن :

« لقد جاءت قضية سلمان رشدي في وقت مناسب جداً ، أهم ميزاتها هي أنها لم تبدأ على أعلى المستويات السياسية بين الحكومات وزعماء الدول وانما بدأت مع مسلمين عاديين وجدوا في محتويات قطعة أدبية مزعومة تجريحاً واهانة لدينهم ومعتقداتهم » .

« إن من الصعب تحديد درجة « التآمر » المتعلقة بكتابة هذا العمل التافه وصدوره . الأمر الواضح والأكيد هو أن رشدي وهو ما اعترف به علناً ، قد فقد ايمانه بالاسلام ، دين آبائه وأجداده ، أثناء فترة صباه وشبابه التي قضاها في المدارس البريطانية الخاصة وفي جامعة كامبريج » .

« ليس في هذا الأمر ما يخرج عن المألوف فهناك كثيرون من أمثال هؤلاء في كل أرجاء العالم ــ انهم الأرث الذي خلفه لنا الاستعمار الغربي وثقافته الدخيلة ــ فكثير من الزعماء في العالم الثالث الذين « يقودون » بلادهم ينتمون

(١) المجلة المذكورة العدد ٣٦٣ / ٦ آذار ١٩٨٩ .

الى هذا الصنف من الناس ، بيد أن هؤلاء المسلمين بالولادة و بالاسم يحرصون جداً على عدم الاعلان عن فقدانهم للايمان على خلاف سلمان رشدي »[١] .

وتقول مجلة « الأفكار » التي تصدر في لبنان :

« في العالم الآن ٨٠٠ مليون مسلم اغضبهم كتاب رشدي وهو يتهجم على اكرم الانبياء وزوجاته الآمنات المحصنات ، اللواتي هن في النهاية امهات المسلمين » .

« وفي فرنسا التي فيها ٣ ملايين مسلم لم يمر فيها الكتاب هكذا بدون ثورة . ورئيس الوزراء « ميشال روكار » الذي هدد بمنع كل تظاهرة تطلب دم سلمان رشدي ، لم تسمح له ظروفه بقراءة الكتاب ، والا لكانت حرية الرأي عنده قد اصطدمت بهول ما يقرأ ، وكارثة ما جاء في السطور » !!

« ولا يمكن ان يقول المسؤول الغربي للمسلم الا يقرأ الكتاب اذا لم يعجبه . هذا كلام غير منطقي وغير مقبول . فالقراءة عند المسلمين عقيدة ذهاباً من الآية الكريمة « اقرأ باسم ربك الذي خلق » (صدق الله العظيم) . وما صدرت الفتاوي ، وقامت الاحتجاجات ضد الكتاب ومؤلفه البالغ الرعونة ، الا لأن العقول قد قرأت ، واستفظعت ما قرأته ، واعتبرت كتاب رشدي غارة اسرائيلية بالنابالم على كل مواطن مسلم في اي بقعة من بقاع الارض . ذلك ان الصهيونية هي المستفيدة الأولى من هذا التخريب ، والحاضة عليه ، ومن يدري مقدار الثمن الذي قبضه رشدي مقابل هذا الكتاب » .

« وجاءت تظاهرة المسلمين كذلك لتنبه الى فداحة الجريمة التي ارتكبها رشدي ، والى ضرورة حماية مجتمعات الاديان كاساس للاستقرار في أي بلد .

---

(١) الهلال الدولي / العدد الحادي عشر ١ ــ ١٥ مارس ١٩٨٩

وسـاء منـقلـب رشدي ومن كـان على شاكلتـه ، ومعه ظل اسرائيل والحاقدين » . (١)

ونشرت صحيفة الاندبندنت مقالاً بعنوان (حرية الصحافة هي ايضاً تعني المسؤولية) قالت فيه : « ان اولئك الذين يتذرعون بحرية الصحافة ينبغي عليهم ان يتذكروا مسؤولياتهم أيضاً .

أليسـت هنالك قطاعات متعلمة في بريطانيا وغيرها هبت لايقاف أعمال أدبية بحجة معاداتها للسامية .

ولا بد ان نتذكر ان المسلمين في انحاء كثيرة من العالم يسعون الى اثبات هويتهم وتأكيد اعتزازهم بدينهم وان هذا مطلب مشروع ولا بد من اعطاءه حقهُ من التقدير » . (٢)

ويقول أشهر كتاب قصص الأطفال في بريطانيا (المستر روالد داهل) « أن رشدي قد قصد من وراء فعلته الشهرة والكسب الرخيص وأن حرية الكتابة لا تعني الكلام غير المسؤول بل على الكاتب الحريص على بقاء مثل هذه التقاليد أن يكون مزوداً بأخلاقية تفرض نوعاً من الرقابة الذاتية على اعماله » . (٣)

---

(١) مجلة الافكار العدد ٣٥٠ ــ ٦ ــ آذار ــ ١٩٨٩

(٢) صحيفة الاندبندنت ١٩٨٩/٢/١٨م

(٣) صحيفة The Times ١٩٨٩/٢/٢٨م

مواقف غير المسلمين

وسماء منتقدات رشدي ومن كان على شاكلته ، وبعده قتل المرتدين والمنافقين به»(١).

ونشرت صحيفة الإندبندنت مقالاً بعنوان (حرية الصحافة هي إيمانا غير المسؤولية) فالتدعيه : «إن الكتاب الذين يتشدقون بحرية الصحافة ينبغي عليهم الا يتذكروا مسؤولياتهم أيضاً».

أليست هنالك ثقافات متطابقة في بريطانيا وغيرها هيئت لإيقاف أعمال أدبية بحجة معاداتها للسامية.

ولا بد أن نتذكر أن المسلمين في أنحاء كثيرة من العالم يسعون إلى إيصال شكواهم وتأكيد اعتزازهم بدينهم وأن هذا مطلب مشروع ولا بد من إعطائه شيئاً من التقدير»(٢).

ويقول أشهر كاتب قصص الأطفال في بريطانيا (المستر رولد داهل) : «إن رشدي قد انجرف من وراء هدفه الشهرة والكسب الرخيص وأن حرية الكلمة لا تعني الكلام غير المسؤول بل على الكاتب الحريص على نفسه مثل هذه النقابية أن يكون مزوداً بأخلاقية تفرض نوعاً من الرقابة الذاتية على إنتاجه»(٣).

---

(١) مجلة الإنقاذ العدد ٢٠٠ ـ ٣ ـ مارس ١٩٨٩.
(٢) صحيفة الإندبندنت ١٩٨٩/٢/٢٨م.
(٣) صحيفة The Times ١٩٨٩/٣/٢٨م.

يكفي في بشاعة محتوى الكتاب انه لا يمكن الدفاع عنه ، او عن مؤلفه ، الاّ من خلال زاو يتين :

الأ ولى ــ باعتباره قطعة أدبية فقط .

الثانية ــ باعتبار ان صاحبه تعرض للتهديد بالموت .

فمن يحترم نفسه لا يستطيع ان يدافع عن الفحش الصريح ، والسب السوقي ، والبذاءة السافلة .. كما ان كل من دافع عن الكتاب وضع نفسه في ذات الزاو ية التي وضع المؤلف نفسه فيها ..

صحيح ان كثيرين دافعوا عن الكتاب ، ولكن فعلوا مثل مؤلفه ، اختفوا وراء مفاهيم اخرى غير ما جاء في الكتاب ليبدوا تأييدهم ..

لقد قال « ميتران » في ردّ تهديد المؤلف بالموت : « ان كل جمود فكري يضعف حريّة التعبير عن طريق العنف هو من وجهة نظري شر خالص ، والتقدم الاخلاقي والروحي للأنسانية رهن بالقضاء على كافة اشكال التعصب » ولكنه نسى ان يدين محتوى الكتاب ؟!

* * *

أمّا ردود الفعل تجاه الكتاب ، فنستعرض جزءاً يسيراً منها ، مما له دلالة خاصة ، تدخل ضمن قانون : « و يل لمن كفّره ابليس » ..

واليكم ذلك :

ــ قال سلمان رشدي نفسه : « انني ابدي اسفي العميق للضيق الذي سببه كتابي للمسلمين المخلصين » وقال : « اننا نعيش في عالم فيه اديان كثيرة ، وانه علينا ان نعي حساسيات الآخرين » [1] .

(١) مجلة الوحدة الاسلامية العدد ١١٨ ص ٥٨

ـ وقال الحاخام الاكبر لليهود الغربيين ـ الاشكناز ـ في اسرائيل « ابراهام شابيرو » : « افهم مشاعر ملايين المسلمين في العالم الذين جرح مشاعرهم هذا الكتاب اللاانساني واللااخلاقي » وطالب بمنع الكتاب في اسرائيل .. بالرغم من ان آريل شارون طالب باعطاء اللجوء السياسي لسلمان رشدي كما طالب بترجمة الكتاب الى كل لغات العالم في اسرائيل !

ـ في الفاتيكان انتقدت صحيفة « لوسير فاتوري رومانو » الناطقة بلسان الفاتيكان « جانب الوقاحة والتجديف » في كتاب « الآيات الشيطانية » وعبرت عن تضامنها مع « الذين شعروا بانهم جرحوا في كرامتهم من المؤمنين » .

وأضافت الصحيفة تقول : « من الصعب معرفة النوايا الحقيقية لرشدي ، ولكن من الأكيد ان روايته اساءت الى ملايين المؤمنين » .

ـ في بريطانيا صرحت « تاتشر » رئيسة الوزراء « بانها تدرك كيف ان كتاب سلمان رشدي مسيء للغاية بالنسبة للمسلمين » .

وقالت تاتشر التي كانت تزور دائرتها الانتخابية شمالي لندن : « انها تتحدث « بصفتها مسيحية » وان الديانتين الكبريين « المسيحية والاسلام » قويتان وعميقتان بما فيه الكفاية لمقاومة هذه الاحداث » .

ـ وفي بريطانيا ايضاً حث النائب « برني غرانت » وأربعة نواب آخرين من حزب العمال ادارة حزب العمال حتى تعبر عن اسفها لنشر كتاب رشدي ، وايدوا من جهة اخرى المذكرة التي اقترحها بعض النواب البريطانيين الصحافيين والتي تقضي بتوسيع اطار القانون المتعلق بمعاقبة اية اهانة او شتيمة تتعرض للدين المسيحي ليشمل الديانات الاخرى » .

ـ في باريس صرح الكاردينال « البروتوكورتره » : « انني اعتقد ان المؤمنين تعرضوا مرة اخرى للاذى ، بسبب ايمانهم ، فبالامس تعرض المسيحيون للاذى بفعل فيلم الاغراء الاخير للمسيح ، واليوم تعرض المسلمون لذلك بسبب كتاب « الآيات الشيطانية » [١] .

ـ وفي الاتحاد السوفياتي صرّح « ميخائيل نناشوف » رئيس اللجنة الحكومية لدور النشر : « ان الاتحاد السوفياتي يلتزم بمبدأ عدم نشر اي كتاب يتعرض بالأهانة للعواطف الدينية او الوطنية لأ يّة امة من الأمم » [٢] .

ـ وفي فرنسا قال الرئيس الفرنسي السابق « جيسكار ديستان » : « من حقّنا ان نغضب ضد الدعوات الى القتل ، وان نتخذ اجراءات ضدها ، ولكن يجدر بنا ان نهتم ايضاً باحترام عقائد الآخرين » [٣] .

---

(١) الوكالات / ٢٢ فبراير / ١٩٨٩

(٢) وكالة انباء فرانس برس France Press تاريخ ٢٢/فبراير/١٩٨٩

(٣) مجلة المستقبل العدد ٦٢٨ / ٤ ـ مارس ـ ١٩٨٩

[illegible]

[illegible] إسرائيل ... بالرغم من أن آرثر شارون قال [illegible]

[illegible]

[illegible] وأساءت [illegible]

ولكن من الأكيد أن روايته أساءت إلى ملايين الأبرياء».

— في بريطانيا صرحت «تاتشر» رئيسة الوزراء «بأنها تدرك كيف أن كتاب سلمان رشدي مسيء للغاية بالنسبة للمسلمين».

وقالت تاتشر التي كانت تزور دائرتها الانتخابية شمال لندن: «إنها تتحدث «بصفتها مسيحية» وأن الديانتين الكبيرتين «المسيحية والإسلام» قويتان وستتمكنان بلا شك [illegible]».

— وفي بريطانيا أيضاً [illegible] وأربعة نواب آخرين من حزب العمال [illegible] كتاب رشدي، واتهموا [illegible]

[illegible]

ردود الفعل الاسلامية

ربما كانت ردود الفعل الاسلامية تجاه كتاب « الآيات الشيطانية » هي الاوسع في التاريخ كلّه ..

فالكتاب تحول خلال شهور من مجرد رواية أدبية ، الى إحدى ادوات الصراع داخل العلاقات الدولية ..

ذلك ان المسلمين وجدوا فيه طعناً في صميم مقدساتهم ، واهانة لكل ما يؤمنون به في الحياة ، واتهاماً لاعز انسان لديهم وهو رسول الله (ص) .

وفي الحقيقة ان اكثرية المسلمين وجدوا الكتاب محاولة من قبل اعدائهم ليس للنيل من كراماتهم فحسب ، بل وسيلة من وسائل هيمنة ثقافية يجري التخطيط لها في الخفاء .

ومن هنا جاءت ردود الفعل ، شاملة ، وعارمة ، وعفوية ، ودموية ، ومستمرة ..

● ففي تاريخ ٥/اكتوبر/١٩٨٨ اي قبل ظهور الكتاب في بريطانيا باسبوعين قدّم احد اعضاء حزب جناتا الهندي طلباً بمنع الكتاب في الهند وقد استجاب رئيس الوزراء لهذا الطلب ، وجرى منع الكتاب هناك . (١)

لقد انطلقت الشرارة الاولى لقضية الكتاب اذن في البرلمان الهندي في بومباي ، حيث ثار غضب النواب المسلمين فيه وطالبوا السلطات الهندية فرض حظر بيع الكتاب في الهند . ولبت السلطات الهندية الطلب .

---

(١) الهلال الدولي ــ العدد ١١ ــ ١ ــ ١٥ مارس ١٩٨٩

ثم انتشرت القضية « كبقعة الزيت » في مختلف انحاء العالم العربي والاسلامي حتى بات الكتاب ممنوعاً في اغلبيتها بما فيها مصر والمملكة العربية السعودية والهند والباكستان وايران ، وحتى افريقيا الجنوبية ، حيث ضغط المسلمون فيها على السلطات بغية منع الكتاب والغاء زيارة سلمان رشدي الذي كان مدعواً لحضور ندوة فكرية هناك .

● كما شهدت انكلترا ، البلد الاول الذي نشر الكتاب ، تظاهرات اسلامية معادية لنشره وتوزيعه ، منها في العاصمة ضمت ما لا يقل عن ثمانية آلاف متظاهر ، واخرى في مدينة برادفورد الصناعية الواقعة شمال البلاد والتي يقطنها ما لا يقل عن اربعين الف مسلم ، اغلبيتهم من الهنود والباكستانيين ، وقد احرق خلالها السيد عبد القدوس ، عضو لجنة مساجد بريطانيا ، الكتاب امام مركز بلدية المدينة قائلاً : « كل مسلم جيد يريد القضاء على سلمان رشدي ، لانه اقدم على تشويه الاسلام وعليه ان يدفع الثمن » .[١]

● وبعد ثلاثة اشهر ونصف من صدور الكتاب في لندن ، اصدر الامام الخميني فتوى تنص على ما يلي :

> « على كل مسلم في العالم ان ينفذ حكم الاعدام في مؤلف كتاب « الآيات الشيطانية » وناشريه سريعاً ، اينما وجدوا ، ان كان الناشرون على علم بمحتواه ، وان اي مسلم يعلم مكان المؤلف و يعجز عن تنفيذ حكم الاعدام فيه ، عليه ان يخبر بمكانه من يستطيع تنفيذ الحكم فيه حتى لا يتجرأ احد على الاساءة الى مقدسات المسلمين » واضاف الامام : « ان أي مسلم يقتل في هذا السبيل يعتبر شهيداً ان شاء الله » .

(١) مجلة الوحدة الاسلامية العدد ١١٨ ٢٤ ــ فبراير ــ ١٩٨٩ ص ٥٨

من جهة اخرى اكد الرئيس الايراني السيد علي خامنئي ضرورة تنفيذ حكم الاعدام بالمؤلف ، مشيراً الى « ان العالم الاسلامي مسؤول امام حكم الامام » ، واوضح بان « نقد الاديان لا يكون من خلال الاساءة والاهانة الى الاحكام الشرعية وان القيام بمثل هذه الاعمال الخبيثة لا يمكن اجابتها بالمنطق والاستدلال » .

وقد شهدت جمهورية ايران الاسلامية تظاهرات تنديد بالكتاب وصاحبه وناشره ، وعلقت الاعمال والوظائف والدوائر والدروس في يوم الحداد الذي اعلن في حينه .

● كما شهدت الباكستان تظاهرة معادية للكتاب ادت الى سقوط اربعة شهداء .

● وفي بون تظاهر حوالي خمسة آلاف مسلم يعيشون في المانيا الغربية احتجاجاً على الكتاب .

وقالت الشرطة ان المسيرة التي نظمتها لجنة الوحدة الاسلامية كانت سلمية .

● وفي كراتشي اعلنت الشرطة ان آلافاً من المتظاهرين قاموا بنهب وتدمير محتويات جزء من مطار كراتشي الدولي احتجاجاً على كتاب سلمان رشدي « الآيات الشيطانية » وعلى زيارة وحدة من الاسطول السابع الاميركي لهذا الميناء الواقع جنوب باكستان .

و بعد صدامات مع رجال الامن قام المتظاهرون باقتحام القاعة المخصصة لكبار الشخصيات بعد تحطيم ابوابها .

والقت الشرطة القبض على نحو ٢٠ شخصاً بتهمة الاخلال بالامن وتخريب ممتلكات عامة . ولم تشر الشرطة الى وقوع إصابات .

● وفي سرنجار (الهند) خاض مسلمون غاضبون من رواية « الآيات الشيطانية » معارك شرسة مع الشرطة في شمال الهند بعد ان دعا الأمين العام للأمم المتحدة خافييه بيريز دي كويار الى انهاء الجدل حول الرواية .

واصيب حوالي ٤٠ شخصاً في معارك في الشوارع في عدة مناطق من كشمير التي قتل فيها ثلاثة أشخاص واصيب عدة مئات بجروح .

● وفي بانكوك قام عدة مئات من المسلمين في تايلاند بتظاهرة سلمية ودعا زعماء دينيون الى حظر رواية رشدي .

واستنكرت ملصقات على جدران المركز الاسلامي في تايلاند رشدي بوصفه « شيطاناً على هيئة رجل » .(١)

● وفي بادو (ايطاليا) ذكرت الشرطة الايطالية ان حريقاً مقصوداً شب في مكتبة موندادوري في بادو التابعة للناشر الايطالي لكتاب سلمان رشدي .

● وفي تورنتو كندا ــ نظم حوالي ١٥٠٠ مسلم تظاهرة احتجاجاً على رواية « الآيات الشيطانية » .

واحرق المتظاهرون نسخة من الرواية وطالبوا الحكومة الكندية بمنع تداول الكتاب ومعاقبة مؤلفه « للحرج الكبير الذي احدثته روايته لدى مليار مسلم في العالم » .

وكانت الحكومة الكندية قد منعت ادخال الكتاب او تداوله لمدة يومين فقط الشهر الماضي ثم سمحت به قائلة ان لجنة مختصة درسته وانها وجدته لا يتضمن ما يوجب منعه وفقاً للدستور الكندي .

● وفي الخرطوم تظاهر مئات من المؤمنين بعد صلاة الجمعة امام سفارة بريطانيا وهم يهتفون ضد رشدي و بريطانيا .

---

(١) الوكالات ٢٣ ــ شباط ١٩٨٩

● وفي مانيلا تظاهر المسلمون خارج السفارة البريطانية .
● وفي اسطانبول احرق متظاهرون مسلمون غاضبون علم بريطانيا ، في أول احتجاج من نوعه هناك .

هذا وأصدر التنظيم الدولي للاخوان المسلمين بياناً حول الكتاب المذكور جاء فيه :

ان ما حواه كتاب «آيات شيطانية» لا يحتمل تأويلاً غير الكفر ، وبما انه يقال ان سلمان رشدي مسلم فحكم الشرع فيه انه ارتد بهذا الذي كتب ، والمفروض ان تتاح له فرصة الاستتابة بشروطها . ولكن الامر لم يقف عند حد الكفر بانكار معلوم من الدين بالضرورة فقط ، ولكنه تضمن سباً وقذفاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولزوجاته .

واي عاقل لا يدخل ذلك في باب حرية الرأي .

ان المسلمين لا يتعرضون لاهل الكتاب من اليهود والنصارى بالنيل او التجريح ، بل يدافعون عن سيدنا موسى وسيدنا عيسى ، والسيدة مريم ، ولا يسمحون في اقطارهم لاي انسان يتعرض اليهم بالاساءة او القذف او النيل من اعراضهم ولو فعل شيئاً من ذلك في اي قطر فانه يتعرض للعقاب والمحاكمة وقد ثار بعض المسيحيين عندما ظهر فيلم «الاغراء الاخير للمسيح» واحرق فرنسيون غاضبون سينما لنفس السبب ، نحن لا نقر الفوضى ، ولكن نطالب كل الدول ان تحترم مشاعر الف مليون مسلم بان تمنع ابتداء ظهور مثل هذه الروايات المسخة التي لا اخلاق فيها ولا ادب ولا حياء .

والمشاهد ان وراء هذا اللون من التهجم على الاسلام ايد يهودية ، صهيونية تريد ان تشغل المسلمين عن قضاياهم المصيرية ، وترصد الجوائز غير النبيلة

والمشبوهة للهدامين وأكثر الكتّاب جرأة على الاساءة الى الاسلام ولنبي الاسلام ، ونطالب دول العالم الاسلامي والهيئات الاسلامية الرسمية وغير الرسمية ، ان تكون لها وقفة مع الدول التي تسمح بتلك المفتريات والاساءات ان تنشر و يروج لها ، غير مبالين بمشاعر المسلمين لتحقيق الامن والسلام وعدم اثارة الشعوب او احداث الفتن الطائفية التي يمكن ان تاتي على الاخضر واليابس .

وصدق الله العظيم «ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ، افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمناً يوم القيامة ، اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير» سورة فصلت ٤٠ .

ويمكن تلخيص رأي الاخوان المسلمين في الآتي :

• موقف الدول الغربية في هذا الامر يمثل هجمة صليبية جديدة على الاسلام متخفية وراء ما يسمى بحرية الرأي وحرية الرأي لا يجوز عقلاً ان تجرح الآخرين ، فما بالك بمن جرح شعور الف مليون مسلم بالقذف في اقدس مقدساتهم بعد ان كفر بها وتمرد عليها .

• يجب وجوباً لا يقبل المناقشة ان تقام له محكمة اسلامية في اي دولة اسلامية يقدم فيها هذا المرتد للمحاكمة حيث يستتاب اولاً ، فان لم يتب يحاكم وان لم يحضر تتم محاكمته غيابياً و يترك تنفيذ الحكم للظروف المواتية زماناً ومكاناً .

٢٩ / رجب / ١٤٠٩ الموافق ٧ / ٣ / ١٩٨٩

«التنظيم العالمي للاخوان المسلمين»

* * *

وهكذا نجد ان التظاهرات عمّت كل العواصم تقريباً ، فحيثما وجد مسلمون ، وأمكنهم القيام بمظاهرة احتجاج فعلوا ذلك ،حتى اصبح خبر الكتاب والمؤلف ورفض المسلمين لهما في كل نشرات الاخبار تقريباً .

كل ذلك عدى ما ترتب على ذلك من آثار سياسية واستدعاء سفراء وقطع علاقات ، وتجاذب بين الدول ..

والشيوعية الهدامين وأكبر التكتلات في العمل الإسلامي [illegible] الإسلام والتي [illegible]

[illegible] .

ويصدق [illegible] في أيامنا [illegible] يوم القيامة [illegible] سورة [illegible] .

ويمكن تلخيص رأي الإخوان المسلمين في الآتي:

- موقف الدول الغربية في هذا الأمر [illegible] الإسلام [illegible] ما يسمى بحرية الرأي وحرية [illegible] لا يجوز [illegible] الأخرى [illegible] .

- يجب [illegible] لا يتعارض [illegible] الإسلامية في أي دولة [illegible] .

٢٩ رجب / ١٤٠٩ – الموافق [illegible] / ٣ / ١٩٨٩

«التنظيم الدولي للإخوان المسلمين»

كيف يجب التصرف حيال هذا الكتاب ؟

ان الرّد على اية محاولة للنيل من مقدسات المسلمين يجب ان يكون حضاريا ، يأخذ بعين الأعتبار عاملي «الردع» من جهة ، و «الهجوم الايجابي» من جهة أخرى ..

والردع ، هنا يعني المقاطعة ، سواء للكتاب ام للكاتب ، ام للناشر .. كما يعني الاحتجاج على ذلك بشتى انواعه ..

اما «الهجوم الايجابي» فيعني ان نتحمل مسؤليتنا في نشر الدعوة المحمدية ، وهداية الناس الى حقائق الأسلام .

ويمكن ان يأتي ذلك في الصور التالية :

اولاً : تأسيس شركات نشر عالمية ، تقوم بمهمة الترجمة والنشر للحقائق القرآنية بشكل دائم ومستمر .

ـ ثانياً : تأسيس المؤسسات الرسمية ، في العالم الغربي ، والدخول في معترك الحياة السياسية هناك .

ـ ثالثاً : فتح الحوار حول مختلف القضايا الدينية مع الأطراف الأخرى ، لكي يتفهم اصحاب القرار ، والسلطات الروحية أصول ديننا وشرائعه .

ـ رابعاً : فتح حوارات حضارية لتقريب وجهات النظر مع المفكرين ، والخبراء لبناء العلاقات الانسانية مع بني الانسان ـ كما امرنا القرآن الكريم بذلك ـ مع قطع النظر عن معتقداتهم ..

ان من واجبنا ان نتحمل مسؤولية النهوض بالاسلام في كل انحاء العالم، عبر الدعوة اليومية عملاً بقوله تعالى: «**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**».

كما ان علينا النهوض بالمسلمين عبر تحميلهم المسؤولية، فليس الاستعمار وحده مسؤولاً عن تخلفنا الحضاري، وانّما المسؤولية تقع على عواتقنا نحن، لان «قابلية الاستعمار» هي نتاج داخلي وليس امراً خارجياً.

موجز
سيرة رسول الله محمد

— ص —

في نهاية هذا الكتاب ارى من الضروري ان اثبت هنا (بعد حذف بعض الزوائد) موجزاً لتاريخ رسول الله محمد (ص) وذلك على لسان احد ابرز المؤرخين الغربيين، وهو « ويل دورانت » في كتابه « قصة الحضارة » . على اساس « وشهد شاهد من اهله » .

وان كانت لنا ملاحظات كثيرة على بعض ما قاله هذا المؤرخ القدير ..

(١) راجع قصة الحضارة ج ١٣ — ١٤ من ص ٦ الى ص ٦٩ .

الجزيرة العربية

توفي جستنيان في عام ٥٦٥ وهو سيد إمبراطورية عظيمة ، و بعد خمس سنين من وفاته ولد محمد (ص) في أسرة فقيرة في إقليم ثلاثة أرباعه صحراء مجدبة قليلة السكان ، أهله من قبائل البدو الرحل ، إذا جمعت ثروتهم كلها فإنها لا تكاد تكفي إنشاء كنيسة أياصوفيا . ولم يكن أحد في ذلك الوقت يحلم أنه لن يمضي قرن من الزمان حتى يكون أولئك البدو قد فتحوا نصف أملاك الدولة البيزنطية في آسية ، وجميع بلاد الفرس ، ومصر ، ومعظم شمالي أفريقيا ، وساروا في طريقهم إلى أسبانيا . والحق أن ذلك الحادث الجلل الذي تمخضت عنه جزيرة العرب ، والذي أعقبه استيلاؤها على نصف عالم البحر المتوسط ونشر دينها الجديد في ربوعه ، لهو أعجب الظواهر الاجتماعية في العصور الوسطى .

و بلاد العرب أكبر أشباه الجزائر في العالم ، يبلغ اطوالها ١٤٠٠ ميل وأكبر عروضها ١٢٥٠ ميلا ، وهي من الوجهة الجيولوجية امتداد للصحراء الكبرى ، وجزء من الإقليم الصحراوي الرملي الذي يمتد إلى صحراء جوبي مخترقا بلاد الفرس . ومعنى « عرب » قحل . و بلاد العرب هضبة واسعة ترتفع على مسافة ثلاثين ميلا من البحر الأحمر ارتفاعا فجائياً إلى ١٢,٠٠٠ قدم ، ثم تنحدر نحو الشرق انحدارا سهلا في أرض جبلية جدباء حتى تصل إلى الخليج . وفي وسط الجزيرة عدد من الواحات الكلئة ، والقرى ذات النخيل ، نشأت حيث يمكن الحصول على الماء بحفر الآبار . وتمتد الرمال حول هذه المراكز مئات الأميال في

جميع الجهات . و يسقط الثلج في تلك البلاد مرة كل أربعين عاماً ، وتنخفض درجة الحرارة فيها بالليل إلى ٣(٥) ، أما شمس النهار فتلفح الوجوه وتغلي الدم في العروق ، والهواء المحمل بالرمال يضطر الأهلين إلى لبس الأثواب الطوال ، وشد غطاء الرأس بالعقال لوقاية الجسم والشعر . وتكاد السماء تكون على الدوام صافية خالية من الغيوم ، والهواء « يشبه النبيذ البراق » . و يسقط المطر أحياناً قرب شواطىء البحر فيجعله صالحاً لقيام الحضارة ، وأكثر ما يكون ذلك على الساحل الغربي في بلاد الحجاز حيث نشأت بلدتا مكة والمدينة ، وفي الطرف الجنوبي الغربي من بلاد اليمن موطن الممالك العربية القديمة .

وازدهرت بعض الممالك العربية الصغرى في الجزء الشمالي من شبه الجزيرة ، ولكنها لم تدم طويلا فقد ظل مشايخ بني غسان يحكمون الجزء الشمالي الغربي والقسم المحيط بتدمر من بلاد سوريا من القرن الثالث إلى القرن السابع تحت سيادة بيزنطية . وأنشأ ملوك بني لخم في الحيرة القريبة من بابل في هذا الوقت عينه بلاطاً نصف فارسي . وتثقفوا ثقافية فارسية اشتهرت بموسيقاها وشعرها . و يرى من هذا ان العرب انتشروا شمالا في سوريا والعراق قبل الإسلام بزمن طويل .

وكان النظام السياسي السائد في بلاد العرب قبل الإسلام ، إذا استثنينا هذه الممالك الصغرى في الجنوب والشمال ، هو البدائي الذي يقوم على رابطة القرابة والذي تجتمع الأسر بمقتضاه في عشائر وقبائل . بل إن هذه الممالك الصغرى نفسها لم تكن تخلو من قسط كبير من هذا النظام القبلي . وكانت القبيلة تسمى باسم أب لها مزعوم عام ، فالغساسنة مثلا كانوا يعتقدون أنهم « أبناء غسان » ولم يكن لبلاد العرب بوصفها وحدة سياسية وجود قبل عصر النبي إلا في مسميات اليونان غير الدقيقة ، فقد كانوا يسمون جميع الساكنين في

شبه الجزيرة باسم السركنوي sarakenoi ، ومن هذا الاسم اشتق اللفظ الإنجليزي Saracens ، و يلوح أنه هو نفسه مشتق من لفظ « الشرقيين » العربي . وكانت قلة سبل الاتصال وصعوبتها مما اضطر أهل البلاد إلى أن يعملوا على الاكتفاء بأنفسهم عن غيرهم ، كما أنهما كانتا سبباً في نمو روح العزلة فيهم ، فالعربي لم يكن يشعر بواجب أو ولاء لأية جماعة أكبر من القبيلة ، وكانت قوة ولائه تتناسب عكسياً مع سعة الجماعة التي يدين لها بهذا الولاء ، فلم يكن يتردد في أن يقدم وهو مرتاح الضمير على مالا يقدم عليه الرجل المتحضر إلا من أجل بلاده أو دينه أو « عنصره » ، أي أن يكذب ، و يسرق ، و يقتل ، ويموت . وكان يحكم كل قبيلة أو بطن من قبيلة شيخ يختاره رؤساء العشائر فيها من بيت اشتهر من زمن بعيد بثرائه ، أو سداد رأيه ، أو شدة بأسه في القتال .

وكان خمسة أسداس السكان بدواً رحلا ، يشتغلون بالرعي و ينتقلون بقطعانهم من مرعى إلى مرعى حسب فصول السنة وأمطار الشتاء . والبدوي يحب الخيل ، ولكن الجمل أعز أصدقائه في الصحراء ، فهو يسير و يهتز في وقار ، وإن كان لايقطع إلا ثمانية أميال في الساعة ، ولكنه يستطيع أن يصبر على الماء خمسة أيام طوال في الصيف ، وخمسة وعشرين يوماً في الشتاء . والناقة تدر اللبن ، و بول الجمل مفيد في تقوية الشعر ، وروثه يمكن أن يتخذ وقوداً ، وإذا ذبح أكل لحمه ، وصنعت الثياب والخيام من جلده و وبره . و بهذه المقومات المختلفة الأنواع كان في وسع البدوي أن يواجه حياة الصحراء متجلداً كجمله ، مرهف الحس نشيطاً كجواده . والبدوي قصير القامة ، نحيف الجسم ، مفتول العضلات ، قوي البنية ، في وسعة أن يعيش أياماً متوالية على قليل من التمر واللبن ، وكان يستخرج من البلح نفسه خمراً يرتفع بها من تراب الأرض إلى

خيال الشعراء . وكان يدفع عن نفسه ملل الحياة الرتيبة وسآمتها بالحب والحرب ، وكان يسرع كما يسرع الأسباني (الذي ورث عنه سرعة غضبه) إلى الانتقام لما عساه أن يواجه إليه أو إلى قبيلته من إهانة أو أذى . وكان جزءاً كبيراً من حياته في الحرب التي تسعر نارها بين القبائل المختلفة ، وكان يحتقر حياة الحضر ، لأن معناها الخضوع لمطالب القانون والتجارة ، ويحب الصحراء القاسية لأنه يتمتع فيها بكامل حريته ، وكان البدوي رحيماً وسفاكا للدماء ، كريماً غادراً وأمينا ، حذرا وشجاعا ، ومهما يكن فقيراً ، فإنه كان يواجه العالم بمهابة وأنفة ، يزهو بنقاء دمه و يولع بأن يضيف إلى إسمه سلسلة نسبه .

وكان لدى البدوي أمر لا يقبل فيه جدلا ، ذلك هو جمال نسائه الذي لا يدانيه في نظره جمال . ولكنه جمال قصير الأجل سرعان ما يذوي في جو الصحراء القائظ . وكانت حياة المرأة العربية قبل أيام النبي تنتقل من حب الرجل لها حباً يقرب من العبادة إلى الكدح طوال ما بقى من حياتها .

وكان في وسع أبيها أن يئدها حين مولدها إذا رغب في هذا ، فإن لم يفعل فلا أقل من أن يحزن لمولدها ، و يواري وجهه خجلا من الناس ، لأنه يحس لسبب ما أن جهوده قد ذهبت أدراج الرياح ، وكانت طفولتها الجذابة تستحوذ على قلبه بضع سنين ، ولكنها حين تبلغ السنة الرابعة أو الثامنة من عمرها كانت تزوج لأي شاب من شبان القبيلة يرضى والده أن يؤدي للعروس ثمنها . وكان حبيبها وزوجها يحارب العالم كله إذا لزم الأمر ليحميها ، أو يدافع عن شرفها .

ولكن هذه المعبودة كانت إلى هذا سلعة من السلع ، فقد كانت جزءاً من أملاك أبيها ، أو زوجها ، أو ابنها ، تورث مع هذه الأملاك ، وكانت على الدوام من خدم الرجل ، وقلما كانت رفيقته .

وكان يطلب إليها أن تلد له كثيراً من الأبناء ، الأبناء الذكور بطبيعة الحال ، لأن واجبها أن تنجب المحاربين ، لم تكن في كثير من الأحوال إلا زوجة واحدة من كثيرات من الزوجات وكان في وسع الرجل أن يخرج من بيته متى شاء .

وكان للعربي ساكن الصحراء دينه الخاص به . فكان يهاب و يعبد أربابا لا حصر لها في النجوم ، والقمر ، وفي أطباق الأرض ؛ وكان من حين إلى حين يطلب الرحمة من السماء المنتقمة ، ولكنه لم يكن في الغالب يستبين سبيل الرشاد بين الجن المحيطين به ، ولا يرى أملا في استرضائهم ، فغلبت عليه من أجل ذلك نزعة الجبرية والاستسلام ، فإذا دعاهم في رجولة ولم يطل الدعاء ؛ و يستهزىء بالأبدية ولا يعبأ بها ؛ و يبدو أنه لم يكن يفكر كثيراً في الحياة بعد الموت ، على أنه كان في بعض الأحيان يطلب أن يربط جمله بجوار قبره ، وأن يمنع عنه الطعام حتى يلحق به بعد قليل في الدار الآخرة ، و ينجيه من مذلة السير على قدميه في الجنة ، وكان بين الفينة والفينة يقدم لآلهته الضحايا البشرية ، كما كان في بعض الأماكن يعبد الأصنام الحجرية .

وكانت مكة مركز عبادة الأصنام . ولم يكن سبب قيام هذه المدينة المقدسة في موضعها الذي قامت فيه هو جودة مناخها ، ذلك أن الجبال الجرداء التي تكاد تطبق عليها من جميع الجهات تجعل صيفها حاراً لا يطاق . وكان الوادي الذي تقوم فيه غير ذي زرع ، ولا يكاد يوجد في البلدة كلها كما عرفها محمد حديقة واحدة ، ولكن موقعها في منتصف ساحل البلاد الغربي ، وعلى بعد ثمانية وأربعين ميلا من البحر الأحمر ، جعلها صالحة في طرق القوافل الطوال التي تجمع في بعض الأحيان ألف جمل بعضها وراء بعض ، والتي كانت تحمل المتاجر بين جنوبي بلاد العرب (ومن ثم بين الهند وأفريقية الوسطى) و بين مصر ،

وفلسطين ، و بلاد الشام . وكان التجار أصحاب هذه التجارة يؤلفون فيما بينهم شركات محاصّة ، و يسيطرون على أسواق عكاظ ، و يقومون بالشعائر الدينية المجزية حول الكعبة وحجرها الأسود المقدس .

ومعنى الكعبة البيت المربع . وهي مقامة في داخل بناء واسع هو المسجد الحرام . وهي بناء مربع من الحجر طولها أربعون قدماً ، وعرضها خمس وثلاثون ، وارتفاعها خمسون ، وفي ركنها الجنوبي الشرقي ، وعلى بعد خمس أقدام من سطح الأرض ، الحجر الأسود ، وهو حجر قاتم اللون بيضي الشكل قطره سبع بوصات . و يعتقد الكثيرون أن هذا الحجر قد نزل من السماء ــ ولعله كان صاعقة ؛ و يقول معظمهم إنه وجد بالكعبة من أيام إبراهيم ، و يرى علماء المسلمين أنه رمز لذلك الفرع من أبناء إبراهيم فرع إسماعيل وأبنائه الذي نبذه بنو إسرائيل فكان منه آباء قبيلة قريش . و يؤيدون قولهم هذا بما جاء في المزمور الثامن عشر بعد المائة في الآيتين ٢٢ و٢٣ « **الحجر الذي رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية** » وفي الآيتين ٤٢ و٢٣ من الإصحاح الحادي والعشرين من إنجيل متى ، وهو قول عيسى بعد أن نطق بهذه العبارة العجيبة : « **لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم و يعطى لأمة تعمل أثماره** » .

وكان في الكعبة قبل الإسلام عدد من الأصنام معبودات العرب . منها اللات ، والعزى ، ومناة . وفي وسعنا أن ندرك قدم عهد هذه الآلهة العربية إذا عرفنا أن هيرودوت قد ذكر الإلات (اللاَّت) على أنها من أكبر أرباب العرب . وكانوا يقولون لأهل مكة إن إلههم الأكبر رب أرضهم ، وإن عليهم أن يؤدوا لها عشر محاصيلهم ، والثمرة الأولى من نتاج قطعانهم . وكانت قريش ، وهي التي تعزو نسبها إلى إبراهيم وإسماعيل ، تختار من بين رجالها سدنة الكعبة وخدامها المشرفين على مواردها المالية . وكانت أقلية أرستقراطية منهم هم بنو قصي يتولون زمام الحكومة المدنية في مكة .

وكانت قريش في بداية القرن السادس منقسمة إلى فئتين متنافستين، إحداهما يتزعمها التاجر الثري الخير هاشم، والأخرى يتزعمها ابن أخيه أمية. وكان لهذا التنافس الشديد شأنه العظيم في تاريخ العرب بعد الرسالة، ولما توفي هاشم خلفه في زعامة بيته ابنه أو أخوه الأصغر عبد المطلب ــ وفي عام ٥٦٨ تزوج عبد الله بن عبد المطلب بآمنة، وهي أيضاً من قصي، وأقام عبد الله مع عروسه أياماً قليلة سافر بعدها في بعثة تجارية. ومات في المدينة وهو راجع من سفره و بعد شهرين من وفاته (٥٦٩) ولدت آمنة أعظم شخصية في تاريخ العصور الوسطى

محمد في مكّة

لقد كان محمد من أسرة كريمة ممتازة ، ولكنه لم يرث منها إلا ثروة متواضعة ، فقد ترك له عبد الله خمسة من الابل ، وقطيعاً من المعز ، و بيتاً ، وأمه عنيت بتر بيته في طفولته . ولفظ محمد مشتق من الحمد وهو مبالغة فيه ، وكأنه حمد مرة بعد مرة ، ويمكن أن تنطبق عليه بعض فقرات في التوراة تبشر به . وقد توفيت أمه وهو في السادسة من عمره وكفله أولا جده وكان وقتئذ في السادسة والسبعين من عمره ثم عمه أبوطالب ولقى منهما كثيراً من الحب والرعاية ، ولكن يبدو أن أحداً لم يعن بتعليمه القراءة والكتابة . ولم تكن لهذه الميزة قيمة عند العرب في ذلك الوقت ، ولهذا لم يكن في قبيلة قريش كلها إلا سبعة عشر يقرؤن و يكتبون . ولم يعرف عن محمد أنه كتب شيئاً بنفسه ، وكان بعد الرسالة يستخدم كلتباً خاصاً له ولكن هذا لم يحل بينه و بين المجيء بأشهر وأبلغ كتاب في اللغة العر بية ، أو بين قدرته على تعرف شؤون الناس تعرفا قلما يصل إليه أرقى الناس تعليماً .

ولا نكاد نعرف عن شباب محمد إلا القليل ، وكان ما يروى عنه من القصص بعد نزول الوحي عليه قد ملأ عشرة آلاف مجلد . وتقول إحدى الروايات إن عمه أبا طالب قد أخذه معه وهو في الثانية عشرة من عمره في قافلة إلى بصرى ببلاد الشام .

وتصوره قصه أخرى بعد بضعة سنين من الرحلة السابقة مسافراً إلى بصرى في تجارة إلى السيدة خديجة وكانت وقتئذ أرملة غنية ، ثم نراه في الخامسة والعشرين من عمره وقد تزوج فجأة بهذه السيدة وهي وقتئذ في الأربعين من عمرها وأم لعدة أبناء . ولم يتزوج غيرها حتى توفيت بعد ذلك بستة وعشرين عاماً ، ولم يكن الاقتصار على زوجة واحدة أمراً مألوفاً عند أغنياء العرب في ذلك الوقت ، ولكن لعله كان طبيعياً في حالتهما . وقد رزق منها عدة بنات أشهرهن كلهن فاطمة ، كما رزق بولدين توفيا في طفولتهما . وقد وجد سلواه في تبني علي بن أبي طالب .

وكانت خديجة سيدة طيبة ، وزوجة صالحة ، وتاجرة بارعة ظلت وفية لمحمد في صروف حياته الروحية ، وظل يذكرها بعد وفاتها على أنها خير نسائه كلهن .

ويصف عليّ زوج فاطمة محمداً وهو في سن الخامسة والأربعين بقوله : « لم يكن الطويل الممغط ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط ، وكان جعداً رجلا ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، دقيق المشربة ، أجود شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معا ، .... أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى الناس ذمة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطة أحبه ، يقول ناعته « لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله وسلم » .

وكان محمد مهيب الطلعة ، لا يضحك إلا قليلا ، قادراً على الفكاهة ولكنه لا يترك العنان لهذه الموهبة ، لأنه كان يعرف خطورة المزاح إذا نطق به من يتولى

أمور الناس .. ولم يكن قوي البنية ، ولهذا كان مرهف الحس سريع التأثر ، كثير التفكير. كان إذا غضب أو تهيج انتفخت عروق وجهه بدرجة يرتاع لها من حوله ، ولكنه كان يعرف متى يهدىء من انفعاله ، وكان في وسعه أن يعفو من فوره عن عدوه الأعزل إذا تاب .

وكان في بلاد العرب كثيرون من المسيحيين ، وكان منهم عدد قليل في مكة ، ولعله قد بدا له أن ما يسود جزيرة العرب من شرك ، ومن عبادة الأوثان ، ومن فساد خلقي ، ومن حروب بين القبائل وتفكك سياسي ، نقول لعله قد بدا له أن حال بلاد العرب إذا قورنت بما تأمر به المسيحية واليهودية حال بدائية لا تشرّف ساكنيها .

وكانت في البلاد شيعة من العرب تدعى بالحنفية أبت أن تقر بالألوهية لاصنام الكعبة وقامت تنادي بإله واحد يجب أن يكون البشر جميعاً عبيداً له وأن يعبدوه راضين .

وكان محمد ، كما كان كل داع ناجح في دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم .

وكان كلما قرب من سن الاربعين ازداد انهماكا في شؤون الدين ، فإذا حل شهر رمضان ــ وهو من الاشهر الحرم ــ آوى وحده أو جميع أسرته في بعض الأحيان إلى غار في جبل حراء على بعد ثلاثة أميال من مكة ، وقضى فيه عدة أيام وليالي في الصوم ، والتفكير ، والصلاة . و بينما هو في ذلك الكهف بمفرده في ليلة من ليالي عام ٦١٠م . إذ حدث له ذلك الحادث العظيم وهو المحور الذي يدور عليه تاريخ الإسلام كله . و يقول محمد بن إسحق اشهر من كتب سيرة النبي إنه هو نفسه قد وصف هذه الحادث الجليل بقوله « فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال : أقرأ

فقلت ما أقرأ ؟ فغطني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ما أقرأ ؟ فغطني حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال : اقرأ فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم** » .

فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي فكأنما كتب في قلبي كتاباً ؛ فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول : « **يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل . فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر من ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي** .

ولما عاد الى خديجة حدثها بما رأى ، وتقول الرواية إنها آمنت بأن ما رآه وحي صادق من السماء ، وشجعته على أن يعلن للناس رسالته .

وأخذ محمد خلال السنوات الأربع التالية يجهر شيئاً فشيئاً بأنه نبي الله المبعوث لهداية الناس إلى حياة أخلاقية جديدة وإلى دين التوحيد . وقد لاقى في سبيل دعوته صعاباً كثيرة . ذلك أن الأفكار الجديدة لا يقبلها الناس إلا إذا كانوا يرجون من ورائها نفعاً مادياً عاجلا ، وأن محمداً كان يعيش في مجتمع تجاري متشكك يحصل على جزء من إيراده من الحجاج الذين يفدون على الكعبة لعبادة آلهتها الكثيرة ، وكان مما تغلب به على بعض هذه الصعاب ما وُعِد به المؤمنون من النجاة في الدار الآخرة من نار جهنم والاستمتاع بنعيم الجنة .

وكان محمد يستقبل في داره كل من أراد الاستماع إليه غنياً أو فقيراً أو عبداً رقاً ، من العرب والمسيحيين واليهود ، وقد تأثر بحماسته و بلاغة قوله عدد قليل ممن جاءوا إليه وآمنوا به ، وكان أول من آمن برسالته زوجته المسنة السيدة خديجة وآمن بها من بعدها ابن عمه علي ، ثم خادمه زيد وكان قد اشتراه بالمال ثم أعتقه من فوره ، ثم أبوبكر وهو رجل من ذوي المكانة في قريش . واعتنق الدين الجديد بتأثير أبي بكر خمسة من زعماء مكة .

وكثيراً ما كان محمد يدخل الكعبة ، و يتحدث إلى الحجاج ، و يدعوهم لعبادة إله واحد . وسخرت قريش أول الأمر من دعوته ولكنها صبرت عليها ، وقالت إن بعقله خبالا وعرضت أن ترسله على نفقتها إلى طبيب يرجى أن يشفيه من جنونه ، فلما أن أخذ يهاجم دينهم و يقول إن الشعائر التي يقومون بها في الكعبة ليست إلا عبادة لما فيها من الأوثان هبوا للدفاع عن مورد رزقهم ، وكادوا يوقعون به أذى جسيماً لولا أن حماه منهم عمه أبوطالب .

كان إخلاصه لتقاليد العرب القديمة يحتم عليه أن يحمي كل فرد من أفراد قبيلته .

وكان خوف قريش من إثارة الفتنة الصماء بين العرب مانعاً لها من استخدام العنف مع محمد والأحرار من أتباعه ، أما من آمنوا به من العبيد فقد كان في وسعهم أن يستخدموا من الأساليب ما يرونه كفيلا بردهم عن الدين الجديد دون أن يخالفوا بذلك القبائل وتقاليدها .

فزجوا بعضهم في السجون وعرضوا البعض الآخر ساعات طوالا إلى وهج الشمس وهم عراة الرؤس . ومنعوا عنهم الماء وكان أبوبكر قد ادخر من تجارته خلال عدة سنين أربعين الف قطعة من الفضة ؛ فلما رأى ما كان يحدث

لأولئك العبيد أنفق ٣٥٠٠٠ منها في تحرير أكبر عدد من العبيد المسلمين ، و يسر محمد الأمر بقوله إن المرتد المكره لا عقاب عليه ، وغضبت قريش من ترحيب محمد بالعبيد أكثر من غضبها من عقيدته الدينية . وظلت تضطهد من دخل في الإسلام من الفقراء اضطهاداً بلغ من القسوة حداً لم يسع النبي معه إلا أن يأذن لهم أو يشير عليهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة ، حيث رحب بهم ملكها المسيحي وأكرم وفادتهم (٦١٥) .

وحدثت بعد عام من ذلك الوقت حادثة هي اعتناق عمر بن الخطاب للدين الجديد بعد أن كان من ألد أعدائه وأشدهم عنفاً في مناهضته وكان عمر رجلا قوي الجسم ، ذا مكانة اجتماعية . و بدأ المسلمون من ذلك الوقت يدعون الناس جهرة في الشوارع والطرقات بعد أن كانوا من قبل لا يعبدون الله إلا سراً في بيوتهم . واجتمع المدافعون عن آلهة الكعبة وأقسموا أن يقطعوا كل صلة بينهم و بين من لا يزالون من بني هاشم يرون واجباً عليهم أن يدافعوا عن محمد . ورأى كثيرون من الهاشميين ومن بينهم محمد وأسرته حقناً للدماء أن ينسحبوا إلى شعب منعزل في مكة يستطيع أبوطالب أن يدفع عنهم الأذى فيه (٦١٥) . وظلت هذه الفرقة بين العشائر قائمة سنتين كاملتين عاد بعدها بعض رجال قريش إلى صوابهم فدعوا الهاشميين أن يعودوا إلى بيوتهم وتعهدوا ألا يمسوهم بسوء .

وابتهجت لهذا القلة المسلمة في مكة ، ولكن ثلاثة خطوب ألمت بمحمد في عام ٦١٩ ، فقد توفيت في ذلك العام السيدة خديجة أوفى الناس له وأكثرهم تأييداً لدعوته ، وتوفى أبوطالب الذي كان ينصره و يدافع عنه . وأحس محمد أنه لا يأمن على نفسه في مكة ، فهاجر إلى الطائف (٦٢٠) ، وهي بلدة ظريفة بعيدة

عن مكة بنحو ستين ميلا إلى جهة الشرق . ولكن الطائف لم تقبله ، لأن زعماءها لم يروا من مصلحتهم أن يغضبوا أشراف مكة التجار ، ولأن العامة فزعوا من الدين الجديد فأخذوا يهزؤن بمحمد في الشوارع ، و يقذفونه بالحجارة ، حتى سال الدم من ساقيه ، فعاد إلى مكة ، وتزوج أرملة تدعى سودة .

ولم ينقطع عنه الوحي في هذه الاثناء ، وخيل إليه في ذات ليلة أنه انتقل من نومه إلى بيت المقدس ، حيث رأى في انتظاره عند المبكى من أنقاض الهيكل البُرَاق ، وهو جواد مجنح فطار به إلى السماء ، ثم عاد به منها ، ثم وجد النبي نفسه بمعجزة أخرى آمنا في فراشه بمكة . و بفضل هذا الإسراء أصبحت بيت المقدس ثالثة المدن المقدسة عند المسلمين .

وفي عام ٦٢٠ أخذ محمد يبث الدعوة بين التجار الذين وفدوا على مكة ليحجوا إلى الكعبة ، وقبل بعض التجار دعوته ، ولما عاد هؤلاء التجار الى بلدهم أخذ بعضهم يدعون أصدقاءهم إلى الدين الجديد ، ورحب بعض اليهود بهذه الدعوة لأنهم لم يروا فارقاً كبيراً بين تعاليم محمد وتعاليمهم . وفي عام ٦٢٢ أقبل على محمد في مكة سرا ثلاثة وسبعون رجلا من أهل المدينة ودعوه إلى الهجرة إلى بلدهم واتخاذ موطناً له . فسألهم هل يدافعون عنه كما يدافعون عن أبنائهم ، فأقسموا أن يفعلوا ، ولكنهم سألوه عما يجزون به إذا قُتلوا في أثناء دفاعهم عنه ، فأجابهم بأن جزاءهم هو الجنة .

وفي ذلك الوقت أصبح أبوسفيان حفيد أمية زعيم قريش في مكة ، وكان قد نشأ في جو من الكراهية لبني هاشم ، فعاد إلى اضطهاد اتباع محمد ، ولعله قد سمع أن النبي يعتزم الهجرة من مكة ، وخشى أنه إذا استقر له الأمر في المدينة قد يشن الحرب على مكة وعلى آلهة الكعبة . وعهدت قريش بتحريضه إلى بعض

رجالها أن يقبضوا على محمد ، ولعلها عهدت إليهم أن يقتلوه ، وعلم محمد بالخبر ففر هو وأبوبكر إلى غار ثور على بعد فرسخ من مكة ، وظل رسل قريش يبحثون عنهما ثلاثة أيام ولكنهم عجزوا عن العثور عليهما . واتجها شمالا ، و بعد أن ظلا سائرين عدة أيام قطعا فيها نحو مائتي ميل وصلا أخيراً إلى المدينة في ٢٤ سبتمبر من عام ٦٢٢ . وكان قد سبقهم إليها مائتان من المسلمين بدعوى أنهم حجاج عائدون من مكة ، و وقفوا عند أبواب المدينة ومعهم من أسلم من أهلها ليستقبلوا النبي ، و بعد سبعة عشر عاماً من ذلك الوقت اتخذ اليوم الأ ول من السنة العربية التي حدثت فيها تلك الهجرة ، وكان هو في ذلك العام يوم ١٦ يولية من سنة ٦٢٢ ، البداية الرسمية للتاريخ الإسلامي .

محمد في المدينة
٦٢٢ ـ ٦٣٠

تقع يثرب ، التي سميت فيما بعد « مدينة النبي » على الحافة الغربية من الهضبة العربية الوسطى . وكانت إذا قورنت من حيث جوها بمكة بدت كأنها جنة عدن ، وكان بها مئات من الحائق وغياض النخل ، والضياع . ولما دخل محمد المدينة تقدمت إليه طائفة في أثر طائفة وألحت عليه أن ينزل عندها و يقيم معها ؛ وأمسك بعضها بزمام ناقته لتمنعه عن مواصلة السير وأصرت على ذلك إصراراً تمليه عليها تقاليدها العربية ، وكان جوابه غاية في حسن السياسة فكان يقول لهم : « **خلوا سبيلها فإنها مأمورة** » ، و بهذا لم يترك للغيرة سبيلا إلى قلوبهم لأن الله وحده هو الذي يسيّر الناقة و يهديها إلى حيث تقف . و بنى محمد في المكان الذي وقفت فيه ناقته مسجداً و بيتين متجاورين أحدهما لسودة والآخر لعائشة ، وأضاف إليهما مساكن أخرى لزوجاته الأخريات فيما بعد .

وكان حين غادر مكة قد قطع كثيراً من صلات القرابة ، فلما جاء إلى المدينة استبدل بصلات الدم صلات الأخواة الدينية في الدولة الجديدة ، كما أراد أن يقضي على أسباب الغيرة بين المهاجرين الذي جاءوا من مكة والأنصار الذين أسلموا من أهل المدينة ــ وكانت بوادر هذه الغيرة قد بدت في ذلك الوقت ــ فآخى بين كل واحد من إحدى الطائفتين وزميل له من الطائفة

الأخرى ، وطلب إلى كلتيها أن تصلي في المسجد مع أختها وفي أول اجتماع عبادي . صعد المنبر وقال بصوت عال « الله أكبر » وردد المجتمعون النداء بأعلى صوتهم وسجد لله وهو لا يزال متجهاً بظهره إليهم ، وكان هذا السجود رمزاً للخضوع إلى الله والاستسلام له ومنه سمي الدين الجديد بالإسلام أي « الاستسلام » و « السلم » ، وسمى أتباعه بالمسلمين . ثم التفت إلى الحاضرين وأمرهم أن يحافظوا على هذه الشعائر إلى أبد الدهر ، ولا يزال المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يتبعون هذه السنة في الصلاة سواء كانوا في مسجد ، أو ضاربين في الصحراء ، أو في بلد غريب لا مسجد فيه . وتنتهي الصلاة بخطبة كانت في زمن النبي خبراً عن وحي وتوجيها لأعمال الأسبوع وسياسته . ذلك أن النبي كان ينشىء حكومة مدنية في المدينة ،واضطر بحكم الظروف أن يخصص جزءاً متزايداً من وقته للمشاكل العملية المتصلة بالتنظيم الاجتماعي ، والأخلاقي ، والعلاقات السياسية بين القبائل ، لشؤن الحرب ، لأنّه لم يكن ثمة حد فاصل بين الشؤون الدينية والدنيوية ، بل اجتمعت هذه الشؤون كلها في يد الزعيم الديني .

فكان محمد في المدينة الرسول الديني والحاكم السياسي جميعاً ، ولم ترض أكثرية العرب عن هذا الوضع وأخذت تنظر بعين الريبة إلى الدين الجديد وشعائره ، وترى أن محمداً كاد يقضي على تقاليد العرب ، وأنه كان يزج بهم في الحروب ، وكان من هؤلاء يهود المدينة الذي ظلوا متمسكين بدينهم ولم ينقطعوا عن الاتجار مع قريش في مكة .

وقد عقد محمد مع أولئك اليهود عهداً ينم عن مهارة سياسية كبيرة ، وقد جاء فيه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب محمد النبي صلى الله عليه بين المؤمنين والمسلمين من قريش و يثرب ومن يتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرين من قريش على ربقتهم يتعاقلون بينهم وهم يقدرون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، بنوساعدة ، و بنوالحارث ، و بنوجشم ، و بنوالنجار ، و بنوعمرو بن عوف ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وإن ذمة الله واحدة ، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا مناصرين عليهم ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود و بينهم ، مواليهم وأنفسهم ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فإن مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم .

وسرعان ما قبلت هذا العهد جميع قبائل اليهود في المدينة وما حولها : قبيلة بنوالنضير و بنوقريظة و بنوقينقاع .

وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفي أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنى وجد .

ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة ، متبعاً في ذلك ما كانت تتبعه معظم القبائل العربية في ذلك الوقت[١] . فلما كللت هذه الغارات بالنصر أعطى المغيرين أربعة أخماس الغنائم ، واحتفظ بالخمس الباقي

(١) لقد كانت الاغارة على قوافل قريش المارة بالمدينة عملا يراد به الدفاع عن الاسلام واسترداد لبعض ما اغتصبه أهل مكة من أموال المسلمين الذين هاجروا منها .

للأعمال الدينية والخيرية ، وكان نصيب من استشهد في هذه الغزوات من حق أرملته ، أما هو فكان جزاؤه الجنة .

وكثرت الغزوات ، وتضاعف عدد المشتركين فيها ، وارتاع لها تجار مكة الذين كانت حياتهم الاقتصادية تعتمد على سلامة قوافلهم ، فأخذوا يدبّرون أمر الانتقام من محمد والمسلمين . وكان من هذه الغارات واحدة حدثت في آخر يوم من شهر رجب أحد الأشهر الحرم التي كان العرب يمتنعون فيها عن جميع أعمال القتال ، وقتل فيها رجل ، وأساءت بذلك إلى سمعة أهل مكة والمدينة على السواء ، وإلى تقاليد العرب المرعية منذ القدم . وفي عام ٦٢٣ جمع محمد نفسه ثلثمائة من المسلمين المسلّحين ، واعترض طريق قافلة قادمة من الشام إلى مكة .وعلم أبوسفيان وكان على رأس القافلة بهذه الخطة ، فغير طريقه ، وأرسل إلى مكة من يطلب النجدة ، و بعثت قريش بتسعمائة من رجالها ، والتقى الجيشان الصغيران عند وادى بدر على بعد عشرين ميلا جنوبي المدينة . ولو أن محمداً هزم في هذه الغزوة لقضى عليه وعلى الإسلام في هذه المعركة ، ولكنه قاد رجاله بنفسه وانتصر على قريش ، وقويت بهذا النصر شوكة الإسلام ، وعاد المسلمون إلى المدينة ومعهم كثير من الأسرى والغنائم (يناير عام ٦٢٤) ، وقتل من هؤلاء الأسرى بعض من كانوا أشد الناس اضطهاداً للمسلمين في مكة ، واطلق سراح الباقين نظير فدية كبيرة ، ونجا أبوسفيان ، وأنذر المسلمين بالانتقام .

ولما عاد إلى مكة أخذ يواسي أسر القتلى و يشجعهم ، و يطلب عدم البكاء عليهم ورثائهم و يقول إن الحرب سجال وإنهم سيأخذون بثأرهم . ثم أقسم ألا يقرب زوجته إلا بعد أن يخرج مرة أخرى لقتال محمد .

واشتد ساعد محمد بهذا النصر، وجرى العرب بعده على الأساليب المألوفة في الحروب.

ولم يطل حب اليهود من أهل المدينة لهذا الدين، والذي بدا لهم أول الأمر شديد الشبه بدينهم، وأخذوا يسخرون من تفسير محمد لكتابهم المقدس، وقوله إنه هو الذي بشر به آباؤهم، وكان جوابه أن قال، كما أوحى إليه و إنهم حرفوا كتابهم، وقتلوا أنبياءهم، وأبوا أن يصدقوا المسيح. وكان قد اتخذ بيت المقدس قبلة يتجه إليها المسلمون في الصلاة، فاستبدل به في عام ٦٢٤ مكة والكعبة، واتهمه اليهود بأنه قد عاد إلى عبادة الأوثان[١].

وحدث في هذا الوقت أن زارت فتاة مسلمة سوق بني قينقاع اليهودي في المدينة، و بينا هي جالسة في حانوت صائغ إذ شبك يهودي خبيث قميصها من وراء ظهرها في أعلى ثيابها، فلما قامت ورأت ما فعل بها بكت مما لحقها من عار، فقتل أحد المسلمين اليهودي الأثيم، وقتل أخوه اليهودي المسلم.

فجمع محمد أتباعه وحاصر يهود بني قينقاع في حيهم خمسة عشر يوماً، حتى استسلموا، فقبل استسلامهم وأمرهم أن يخرجوا بقضهم وقضيضهم من المدينة و يتركوا وراءهم جميع ممتلاكاتهم، وكان عددهم في ذلك الوقت نحو سبعمائة.

وفي أوائل عام ٦٢٥ سار أبوسفيان على رأس جيش تبلغ عدته ثلاثة آلاف رجل إلى جبل أحد على بعد ثلاثة أميال شمال المدينة، وصحب الجيش خمسة عشر من النساء بينهن زوجات أبي سفيان ليثرن حماسة الجند بأغانيهن الحزينة ودعوتهن إياهم إلى الانتقام.

---

(١) وفي ذلك نزل قوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولو وجوهكم شطره» سورة البقرة (الآية ١٤٤).

ولم يكن جيش المسلمين يزيد على ألف ، وهزم المسلمون في هذه الغزوة ، وحارب فيها محمد بشجاعة عظيمة ، وأصيب بعدة جروح وحمل من الميدان . وقتل في المعركة حمزة عم النبي ومضغت كبده هند أشهر زوجات أبي سفيان ، وكان أبوها ، وعمها ، وأخوها قد قتلوا في غزوة بدر ، وكان حمزة نفسه هو الذي قتل أباها ، ثم لم تكتف بهذا بل صنعت لنفسها من جلده وأظافره خلاخيل وأساور .

وظن أبو سفيان أن محمداً قد مات ، وعاد منتصراً إلى مكة . و بعد ستة أشهر من هذه الواقعة شفى النبي واستطاع أن يهاجم بني النضير و لأنهم أعانوا قريشاً على المسلمين وكانوا يأتمرون به ليقتلوه . و بعدان حاصرهم ثلاثة أسابيع اذن لهم أن يهاجروا من المدينة على أن تأخذ كل أسرة معها حمل بعير . واستولى النبي على بعض ما كان لهم من بساتين النخيل الغنية ، فكان بعضها له ووزع ما بقى منها على المهاجرين . لقد كان محمد يرى أنه في حرب مع أهل مكة ، وأن من حقّه أن يؤمن نفسه بإبعاد الجماعات المعادية له عن جناحيه .

وعادت قريش وعاد أبو سفيان إلى مهاجمة المسلمين في عام ٦٢٦ بجيش يبلغ ١٠٠٠٠ رجل يساعدهم يهود بني قريطة مساعدة جدية . ورأى محمد أنه لا يستطيع مقابلة هذه القوة الكبيرة في الميدان ، ففضل أن يدافع عن المدينة بحفر خندق حولها . وحاصرتها قريش عشرين يوماً ، حتى فت في عضدهم المطر والعواصف ، فعادوا إلى أوطانهم ، وقاد محمد من فوره ثلاثة آلاف من المسلمين وهاجم بهم يهود بني قريظة ، فلما استسلمواخيرهم بين الإسلام والموت .

وكان النبي في ذلك الوقت قد أصبح من أمهر القادة ، فقد جهز في العشر السنين التي قضاها في المدينة خمساً وستين غزوة وسرية حربية قاد بنفسه سبعاً

وعشرين منها ، ولكنه كان إلى هذا سياسياً محنكا ، يعرف كيف يواصل الحرب بطريق السلم ، وكان يشارك المهاجرين في الحنين إلى بيوتهم وأسرهم في مكة ، و يشارك المهاجرين والأنصار جميعاً في الحنين إلى زيارة الكعبة ، التي كانت في صباهم عزيزة عليهم وموضع إجلالهم .

وفي عام ٦٢٨ أرسل محمد إلى قريش يعرض عليهم الصلح ، و يتعهد لهم بسلامة قوافلهم إذا رضوا أن يؤدي شعائر الحج في موسمه . وأجاب زعماء قريش بأنهم يشترطون لقبول هذا العرض أن يمضي قبله عام كامل من السلم ، وأدهش محمد أتباعه بقوله إياه ، ووقع الطرفان شروط هدنة تدوم عشر سنين ، وحدثت بعدئذ غارة على يهود خيبر في مساكنهم الواقعة في الشمال الشرقي من المدينة على مسيرة ستة أيام منها ، ودافع اليهود عن أنفسهم بأحسن ما يستطيعون من دفاع ، وسقط منهم في أثناء ذلك ثلاثة وتسعون رجلا ، ثم سلم الباقون آخر الأمر ، وسمح لهم بالبقاء في أماكنهم يزرعون الأرض ، على شرط أن يسلموا جميع ممتلكاتهم ونصف محصولاتهم إلى الفاتحين . ولم يمس احد من الباقين بسوء ما عدا زعيمهم كنانة وابن عمه فقد قطع رأسهما لأنهما أخفيا بعض ما يمتلكان ، وضمت صفية إلى نساء النبي .

وفي عام ٦٢٩ دخل مسلمو المدينة ، البالغ عددهم ألفين ، الى مكة مسالمين ، وانسحبت قريش إلى التلال لتجنب الاحتكاك بالمسلمين ، وطاف محمد وأتباعه في أثناء ذلك بالكعبة سبع مرات . ومس محمد الحجر الأسود مظهراً له دلائل الإجلال ، ولكنه نادى بعده المسلمون « لا إله إلا الله » .

وكان لمسلك المسلمين المنفيين وحسن نظامهم ، ووطنيتهم ، وتقواهم أعظم الأثر في نفوس أهل مكة ، فأسلم من قريش عدد من ذوي المكانة من بينهم

خالد بن الوليد وعمر والذين صارا فيما بعد من قواد المسلمين . وعرضت بعض القبائل المجاورة على النبي أن يؤمنها على دينها نظير مساعدتها إياه في القتال ؛ ولما عاد إلى المدينة رأى أنه قد أصبح له من القوة ما يمكنه من الاستيلاء على مكة عنوة .

ولم يكن قد مضى من الهدنة إلا عامان ، ولكن إحدى القبائل المتحالفة مع قريش أخلت بشروط الهدنة فهاجمت إحدى القبائل المسلمة (٦٣٠)[١] ، فجمع النبي عشرة آلاف رجل وزحف بهم على مكة ، وأدرك أبوسفيان قوة المسلمين فسمح لهم بأن يدخلوا مكة بلا مقاومة . وكان جواب محمد جواباً كريما ، فقد أعلن عفوا عاماً عن جميع أهل مكة عدا اثنين أو ثلاثة من أعدائه ، وحطم الأصنام التي كانت في داخل الكعبة وحولها ، ولكنه ترك الحجر الأسود في مكانه وأجاز تقبيله .

واعلن ان مكة مدينة الإسلام المقدسة ، وأعلن أنه لن يدخلها بعد ذلك اليوم كافر ، وامتنعت قريش بعدئذ عن كل مقاومة مباشرة ، وأصبح الرجل المضطهد الذي هاجر من مكة ثمان سنين ، صاحب الكلمة العليا في حياتها .

---

(١) نقضت قريش الهدنة إذ ساعدت باسلاح بني بكر ــ وكانوا قد دخلوا في عهد قريش ــ على بني خزاعة الذين دخلوا في عهد رسول الله . بل إن نفراً من قريش قاتلوا بأنفسهم خزاعة في صفوف بني بكر ، وجاء من خزاعة إلى الرسول من يطالبه بالنصر وفاء العهد ، فكان لا بد من الاستعداد للمسير الى مكة لفتحها .

انتصار النبي

قضى النبي معظم العامين الباقيين من حياته في المدينة ، وكان ينتقل فيها من نصر إلى نصر، فقد خضعت فيما بعد بلاد العرب كلها ، بعد فتن قليلة الشأن ، إلى سلطانه ودخلت في دين الإسلام . وجاء إلى المدينة « كعب بن زهير» أعظم شعراء العرب في ذلك الوقت ، وكان قد هجا النبي في بعض قصائده ، وأسلم نفسه إليه ، واعتنق الإسلام ، فعفا عنه النبي و وأنشأ الشاعر قصيدة عصماء في مديح النبي أجازه عليها ببردته ، وعاهد النبي المسيحيين في بلاد العرب ، وأخذ على نفسه أن يحميهم وأن يكونوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم نظير ضريبة هينة ، ولكنه نهاهم عن الربا ، و يقول المؤرخون إنه بعث الوفود إلى ملك الروم ، وملك الفرس وإلى أمير الحيرة و بني غسان ، يدعوهم إلى الدين الجديد ، وكان يشهد بعين الفيلسوف الحروب المشتعلة نارها بين فارس و بيزنطية وما جرته على الدولتين من خراب .

ولم يكن النبي مشرعا ، فلم يضع لأمته كتابا في القانون أو موجزاً فيه ، ولم يسر في تشريعه على نظام مقرر، بل كان يصدر الأوامر حسبما تمليه عليه الظروف .

وكانت أعمال الحكومة تشغل وقته كله ، فقد كان يعنى أشد العناية بكل صغيرة وكبيرة في شؤون التشريع والقضاء ، والتنظيم المدني ، والديني ، والحزبي . وحتى التقويم نفسه قد عنى بتنظيمه لأتباعه .

وتزوج النبي بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري هن مبعث الدهشة والحسد والتعليق والمدح عند الغربيين .

ولكن علينا أن نذكر على الدوام أن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين في العصر القديم وفي بداية العصور الوسطى جعلت تعدد الزوجات ، في نظر هؤلاء الساميين ، ضرورة حيوية تكاد تكون واجبا أخلاقيا .

وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمراً عادياً مسلماً به لا غبار عليه ، ولذلك كان يقبل عليه وهو مرتاح الضمير لا يبغي به إشباع الشهوة الجنسية ، و يروي عن عائشة حديث عن النبي مشكوك في صحته يقول فيه « **حبب إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وقرة عيني الصلاة** » ولقد كانت بعض زيجاته من أعمال البر والرحمة بالأرامل الفقيرات اللاتي توفي عنهن أتباعه أو أصدقاؤه ، وكان بعضها زيجات دبلوماسية كزواجه بحفص بنت عمر الذي أراد به أن يوثق صلته بأبيها ، وكزواجه من ابنة أبي سفيان ليكسب بذلك صداقة عدوه القديم . وربما كان الدافع إلى بعضها أمله في أن يكون له ولد ، وهو أمل حرم منه زمناً طويلاً . وكانت زوجاته كلهن ما عدا خديجة عقيمات ، وكان هذا موضع السخرية بين أعدائه ، ولم يبق من أبنائه الذين رزقهم من خديجة إلا فاطمة . وقد رزق من مارية القبطية التي أهداها إليه نجاشي الحبشة ، بولد اغتبط النبي بمولده أشد الاغتباط ، ولكن إبراهيم مات بعد خمسة عشر شهراً من مولده .

وكثيراً ما ضايقه نساؤه بمنازعتهن ، وغيرتهن ، ومطالبهن ، ولكنه أبى أن يجيبهن إلى مطالبهن الكثيرة ، ووعدهن بالجنة ، وقضى بعض الوقت يعدل بينهن فيقضي ليلة عند كل واحدة منهن ، ذلك أن سيد بلاد العرب كلها لم يكن يملك بيتاً خاصاً له .

وكانت حياة النبي غاية في البساطة ، فقد كانت المساكن التي أقام بها واحداً بعد واحد كلها من اللبن ، ولا يزيد اتساعها على اثنتى عشرة أو أربعة عشرة قدماً ، لا يزيد ارتفاعها على ثمان أقدام ، وسقفها من جريد النخل ، وأبوابها ستائر من شعر المعز أو وبر الجمال .

أما الفراش فلم يكن أكثر من حشية تفرش على الأرض ووسادة ، وكثيراً ما كان يشاهد وهو يخصف نعليه ، و يرقع ثوبه ، و ينفخ النار ، و يكنس أرض الدار ، ويحلب عنزة البيت في فنائه ، و يبتاع الطعام من السوق

وكان يأكل بيده ، و يلعق أصابعه بعد كل وجبة ، وكان طعامه الأساسي التمر وخبز الشعير ، وكان اللبن وعسل النحل كل ما يستمتع به من الترف في بعض الأحيان . ولم يتعاط الخمر التي حرمها هو على غيره .

وكان لطيفاً مع العظماء ، بشوشاً في أوجه الضعفاء ، عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين المتكبرين ، متسامحاً مع أعوانه .

يشترك في تشييع كل جنازة تمر به ، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان .

وكان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم الخاص ، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام ، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من القيام به لنفسه .

ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال رغم ما كان يرد إليه من

الفيء وغيره من الموارد، أما ما كان ينفقه على نفسه فقد كان أقل من القليل. وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر من هذا المال، لكنه كان ككل الناس يعتني بمظهره الشخصي و يقضي في تلك العناية كثيراً من الوقت، فكان يتعطر و يكتحل، و يصبغ شعره، و يلبس خاتماً نقش عليه «محمد رسول الله»، وربما كان الغرض من هذا الخاتم هو توقيع الوثائق والرسائل. وكان صوته موسيقياً حلواً يأسر القلوب.

وكان مرهف الحس إلى أقصى حد، لا يطيق الروائح الكريهة، ولا صلصلة الأجراس، أو الأصوات العالية «**واقصد في مشيك، وأغضض من صوتك، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير**».

وكان حلو الفكاهة فقد قال مرة لأبي هريرة، وكان يتردد عليه كثيراً: «**يا أبا هريرة زُرْغباً تزدد حباً**».

وكان محاربا صارما، وقاضيا عادلا في وسعه أن يقسو و يغدر، ولكن لا يفعل ذلك وأعماله الرحيمة أكثر من أن تعد.

وقد قضى على كثير من الخرافات الهمجية كفقء بعض أعين الحيوانات لوقايتها من الحسد، أو ربط بعير الميت عند قبره.

وكان أصدقاؤه يحبونه حباً يقرب من العبادة، وكان أتباعه يجمعون بصاقه أو شعره بعد قصه، أو الماء الذي يغسل به يديه، لاعتقادهم أن في هذه الفضلات شفاء لهم من ضعفهم أو مرضهم.

وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء جميع واجبات الحب والحرب، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره، و يقال أن يهود خيبر قد دسوا له السم في اللحم قبل عام من ذلك الوقت، فأصبح بعد ذلك الحين عرضة

لحميات ونوبات غريبة .

وتقول عائشة إنه كان يخرج من بيته في ظلام الليل ، و يزور القبور ، و يطلب المغفرة للأموات[١] ، و يدعو الله لهم جهرة ، ولما بلغ الثالثة والستين من عمره اشتدت عليه هذه الحميات ، وظلت الحمى تعاوده أربعة عشرة يوماً بعد ذلك الوقت ، وقبل وفاته بثلاثة أيام نهض من فراشه ، ودخل المسجد وشاهد احد صحابته يؤم المسلمين للصلاة بدله ، فجلس متواضعاً إلى جانبه حتى أتم صلاته . وفي اليوم السابع من شهر يونية توفي محمّد في المدينة وذلك في عام ٦٣٢ — م .

وإذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس قلنا إن محمداً كان من أعظم عظماء التاريخ ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله ، وقل أن نجد إنساناً غيره حقق كل ما كان يحلم به . وقد وصل إلى ما كان يبتغيه عن طريق الدين ، ولم يكن ذلك لأنه هو نفسه كان شديد التمسك بالدين وكفى ، بل لأنه لم يكن ثمة قوة غير قوة الدين تدفع العرب في أيامه إلى سلوك ذلك الطريق الذي سلكوه ، فقد لجأ إلى خيالهم ، وإلى مخاوفهم وآمالهم ، وخاطبهم على قدر عقولهم ، وكانت بلاد العرب لما بدأ الدعوة صحراء جدباء ، تسكنها قبائل من عبدة الأوثان ، قليل عددها متفرقة كلمتها ، وكانت عند وفاته أمة موحدة متماسكة . وقد كبح جماح التعصب والخرافات ، وأقام فوق

(١) يشير المؤلف الى قول الرسول في أوائل مرضه الذي توفي فيه « إني قد امرت ان استغفر لأهل هذا البقيع (مدافن أهل المدينة) ثم ذهب فعلا واستغفر لهم » . (راجع سير ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٦) .

اليهودية والمسيحية ،ودين بلاده القديم ، ديناً سهلا واضحاً قوياً ، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة . واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة ، وفي قرن واحد أن ينشىء دولة عظيمة ، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم .

عقائد الاسلام

من بين الأغراض التي يهدف لها الدين أن يكون سبيلا إلى الحكم الأخلاقي ، وليس من شأن المؤرخ أن يسأل هل هذا الدين أو ذاك حق أو باطل ، وأنى له العلم المحيط بكل شيء والذي يوصله إلى هذه المعرفة ؟

وإنما الذي يسأل عنه هو العوامل الاجتماعية والنفسانية التي أدت إلى قيام هذا الدين ، وإلى حدٍ أفلح في تحويل الوحوش إلى آدميين ، والهمج إلى مواطنين صالحين ، والصدور الفارغة الى قلوب عامرة بالأمل والشجاعة ، وعقول مطمئنة هادئة .

وما مقدار ما تركه بعد ذلك من الحرية لتطور العقول البشرية ، وما هو أثره في التاريخ ؟

و يرى الإسلام أن أهم ما يحتاج إليه المجتمع السليم هو الإيمان بأن هذا الكون خاضع لحكم أخلاقي مسيطر على شؤنه ــ أي الإيمان بأنه مهما يكن في هذا الكون من شر ، فإن عقلا خيراً يعجز الناس عن إدراك كنهه ،يسير الكون إلى غاية عادلة نبيلة . والأديان الثلاثة ــ اليهودية والمسيحية والاسلام ــ التي أعانت على تكوين عقلية الناس في العصور الوسطى مجمعة كلها على أن هذه العقلية الكونية هي الله الواحد ذو الجلال . غير أن المسيحية قد أضافت إلى هذه

العقيدة أن الله الواحد يظهر في ثلاثة أقاليم مختلفة ، أما الإسلام فيرى ان هذا الاعتقاد ليس إلا شركا مقنعاً ، و يعلن وحدانية الله بأقوى الألفاظ وأشدها حماسة . وفي القرآن سورة خصصت كلها لهذا الغرض وهي السورة الثانية عشرة بعد المائة .

و يردده المؤذن من فوق مائة الف مئذنة كل يوم ، فالله هو أصل الحياة ومنشؤها ، ومصدر كل خير على ظهر الارض . « **وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** » (سورة الحج الآية ٥) « **فلينظر الا نسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً وعنباً ، وقضباً وزيتوناً ونخلاً ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وأبا** » (سورة عبس الآيات ٢٤ ـــ ٣٠) ... « **انظروا إلى ثمره إذا أثمر و ينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** » (سورة الأنعام الآية ٩٩) .

والله أيضاً إله القوة « **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ... وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى** » ... « **وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات** » (سورة الرعد الآيتان الثانية والثالثة) .
و يقول في آية الكرسي الشهيرة « **الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض ، من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسية السموات والأرض ، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم** » (سورة البقرة الآية ٢٥٥) .

والله مع سلطانه وعدله رحيم أبدا ، فكل سورة من سور القرآن ، ما عدا سورة التوبة ، وكل رسالة يكتبها مسلم متمسك بدينه تبدأ بتلك العبارة الفخمة

« بسم الله الرحمن الرحيم » . ومع أن النبي لا يفتأ يذكر الناس بأهوال النار، فإنه لا يمل من الثناء على رحمة الله الأبدية .

والله كما يصفه القرآن يحيط علما بكل شيء ، « **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** » « **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** » ، (سورة ق ١٦) .

والله يعلم المستقبل كما يعلم الحاضر والماضي ، فالله يعلم منذا الذي ينجو من العذاب وهو الذي « **يضل من يشاء و يهدي من يشاء** » (سورة فاطر ٨) « **يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليما** » (سورة الإنسان ٣١) وكما أن يهوه قد طمس على قلب فرعون فجعله قاسياً ، كذلك يقول الله عن الكافرين « **إنا جعلنا في قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا** » (سورة الكهف ٥٧) ، وما من شك في أن المقصود من هذه الآية وأمثالها حث الناس على الإيمان .... غير أنه مع ذلك قول عنيف في أي دين ، ولكن محمداً يؤكده بنفس القوة التي يؤكد بها القديس أوغسطين أمثاله . « **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** » (سورة السجدة ١٣) . والإيمان بالقضاء والقدر قد استعان بها النبي وغيره من الزعماء لبث الشجاعة في قلوب المؤمنين عند القتال لأن ساعة الموت لا يقدمها خطر ولا يؤخرها حذر . و بفضل هذه العقيدة لاقى المؤمنون أشد صعاب الحياة بجنان ثابت .

و يتحدث القرآن كثيراً عن الملائكة والجن والشيطان . فأما الملائكة فهم رسل الله وهم الذين يحصون أعمال البشر الطيب منها والخبيث . والجان مخلوقون من النار، ويختلفون عن الملائكة في أنهم يأكلون و يشربون ، و يتناكحون

ويموتون ، ومنهم الصالحون الذي يستمعون إلى القرآن (سورة الجن) ولكن معظمهم دون ذلك يقضون وقتهم في تضليل الناس وغوايتهم . وزعيم الجن الأشرار إبليس ، وكان من قبل من الملائكة الأخيار ولكنه أبى أن يسجد لآدم فطرده الله من رحمته .

والمحور الذي تدور عليه المبادىء الأخلاقية في القرآن ، كما هي الحال في كتاب العهد القديم ، هو خوف العقاب ورجاء الثواب في الحياة الآخرة ، **« واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد »** (سورة الحديد ٢٠) وليس فيها محقق إلا شيء واحد هو الموت .

وكان بعض العرب يعتقدون أن كل شيء ينتهي عند الموت ، و يسخرون من عقيدة الدار الآخرة ، ر يقولون **« إنْ هذا إلا أساطير الأولين »** (سورة المؤمنون ٨٣) ، ولكن القرآن يؤكد بعث الجسم والروح (سورة القيامة ٣ ــ ٤) ولن يكون هذا البعث بعد الموت مباشرة ، بل في يوم القيامة ، ولكن نومهم هذا سيحملهم على الظن بأن استيقاظهم بعد موتهم على الفور . وعلم يوم القيامة عند الله وحده ، ولكنه تسبقه علامات تنبيء به ، فإذا قرب ذلك اليوم ضعف إيمان الناس ، وفسدت أخلاقهم ، وكثر التشاحن والشقاق والحروب والعوان ، وتمنى العقلاء الموت . وستكون آخر النذر ثلاث نفخات في الصور ، ففي النفخة الأولى تكسف الشمس ، وتهوى النجوم ، وتزول السموات ، وتدك الجبال والمباني فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتا ، وتجف مياه البحر أو تتطاير لهبا (سورة طه ١٠٢ وما بعدها) . وفي النفخة الثانية تهلك الخلائق جميعها ــ الملائكة والجن والبشر ــ إلا من رحم الله ، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثالثة فتقوم الأجسام من القبور وتتصل بالأرواح ، و يتجلى امر الله لعباده تحف به الملائكة يحملون الكتب التي

دونت فيها أعمال الناس جميعها وأقوالهم وأفكارهم . وتوزن الحسنات أمام السيئات ويحاسب الإنسان على ما قدمت يداه . و يتقدم الأنبياء فيشهدون على من رفضوا رسالتهم ، و يشفعون لمن آمنوا بهم . و يسير الأخيار والأشرار جميعاً على الصراط ــ وهو أدق من الشعر وأحد من السيف ــ المعلق فوق الجحيم . فيسقط منه الأشرار والكفرة ، ويجتازه المصلحون آمنين إلى الجنة ، ولن يكون ذلك لما يستحقونه من عقاب أو ثواب بل لما ينالهم من رحمة الله[١] .. ذلك أن القرآن يعنى على ما يظهر بصحة الإيمان كما يعنى بالسلوك الطيب ، فهو كثيراً ما ينذر من لا يقبلون دعوة النبي بعذاب النار في الآخرة (آل عمران الآيات ١ و٦٣ و١٣١ وسورة النساء ٥٦ و١١٥ والأعراف والأنفال ٥٠ والتوبة ٦٣ الخ) . وإذا لم تكن الذنوب كلها بدرجة واحدة ولا من نوع واحد فقد جعلت النار سبع طبقات في كل طبقة من العقاب ما يتناسب مع الذنب الذي ارتكبه المذنب ، ففيها الحرارة التي تشوي الوجوه ، فيها الزمهرير ، وحتى من يستحقون أخف العقاب يلبسون أحذية من نار ، و يشرب الضالون المكذبون من الحميم وشرب الهيم (سورة الواقعة ٤٠ وما بعدها) .

وصورة الجنة في القرآن واضحة وضوح صورة النار . والجنة هي مقر المؤمنين الصالحين والذين يموتون في سبيل الله ، والفقراء يدخلونها قبل الأغنياء . وهي حديقة واسعة الأكناف تجري من تحتها الأنهار وتظللها الأشجار الضليلة ، و يلبس فيها الصالحون ثياباً من سندس وإستبرق ، ويحلون بالجواهر ، و يتكئون على الأرائك ، و يطوف عليهم ولدان مخلدون ، و يأكلون فاكهة من أشجار

(١) بشرط ان يكون العمل الصالح الذي يثاب عليه في الدار الآخرة قائماً على اساس الايمان الصحيح .

تطأطىء أغصانها لهم ليملئوا من ثمارها أيديهم . فيها أنهار من لبن ، وعسل ، وخمر يشرب منها الصالحون (وإن كانت الخمر محرمة في الدنيا) في أكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون « **لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا** » (سورة النبأ ٣٥) ، « **فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس ولا جان ... كأنهن الياقوت والمرجان** » « **وكواعب اترابا** » . « **وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن بيض مكنون** » أجسامهن من المسك مبرأة من نقائص الأجسام البشرية وآثامها . ولن تنقص الأ يام ولا الأعمال ولا الموت من جمال أجسامهنّ ، ولا من نعيم رفاقهن (سورة الدخان) .

وفي الجنة غير هذه المتعة الجسمية متُعَ أخرى روحية فمن المؤمنين من يتلون القرآن ، وسيتجلى لهم الله جميعاً بوجهه « **و يطوف عليهم ولدان مخلدون** » ترى منذا الذي يستطيع أن يرفض مثل هذا النعيم ؟

القرآن والأخلاق

القانون والأخلاق في القرآن هما ، شيء واحد ، فالسلوك الديني يشمل أيضاً السلوك الدنيوي ، وكل أمر فيهما موحى به من عند الله . والقرآن يشمل قواعد للآداب ، وصحة الجسم ، والزواج والطلاق ، ومعاملة الأ بناء والعبيد والحيوان ، والتجارة ، والسياسة ، والر با ، والدَّين ، ،العقود ، والوصايا ، وشؤن الصناعة والمال ، والجريمة ، والعقاب ، والحرب والسلم .

ولم يكن محمد يحتقر التجارة ، فقد كان هونفسه في صباه تاجراً ، وحين كان سيد المدينة كان يبتاع بعض السلع جملة و يبيعها أشتاتاً ، و يربح من هذا البيع دون أن يرى فيه عيباً أو منقصة ، وكان في بعض الأحيان يدلل على السلع بنفسه .

ولغة القرآن غنية بالتشبيهات ، ففيه وعد بالثراء في الدنيا للمسلمين الصالحين ، وإنذار بعذاب أليم للمخادعين والكاذبين من التجار . وفي الأحاديث النبو ية تنديد بالمحتكرين والمضار بين الذين يحتجزون السلع ليبيعوها بأغلى الأسعار ، وحض على إيفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم ، وأمر لصاحب العمل بأن يؤدي للعامل أجره قبل أن يجف عرقه . ويحرم القرآن الر با أخذاً أو إعطاء (سورة البقرة ٢٧٥ وسورة آل عمران ١٣٠) .

ولسنا نجد في التاريخ كله مصلحاً فرض على الاغنياء من الضرائب ما فرضه عليه محمد لإعانة الفقراء . وكان يحض كل موص بأن يخص من ماله جزءاً للفقراء ، وإذا مات رجل ولم يترك وصية فرض على ورثته أن يخصصوا بعض ما يرثون لأعمال الخير (سورة النساء ٨ و ٩) ، وقد قبل محمد كما قبل معاصروه نظام الاسترقاق على أنه من قوانين الطبيعة ، ولكنه بذل كل ما في وسعه لتخفيف أعباء الرق ومساوئه .

كذلك رفع من مقام المرأة في بلاد العرب ، وإن لم ير عيباً في خضوعها للرجل ، وهو يهيب بالرجال ألا يكونوا عبيداً لشهواتهم . وهو يحرم على النساء ولاية الحكم ،لكنه يسمح لهن أن يحضرن الصلاة في المساجد ، وإن كان يرى أن بيوتهن أولى بهن ، وكن إذا جئن إليه للصلاة أحسن معاملتهن ولو أتين معهن بأطفالهن . وقد روى عنه أنه كان إذا سمع بكاء طفل في أثناء الصلاة قصر خطبته حتى لا يؤذي بطولها أمه .

وقضى القرآن على عادة وأد البنات (سورة الإسراء ٣١) وسوى بين الرجل والمرأة في الإجراءات القضائية والاستقلال المالي ، وجعل من حقها أن تشتغل بكل عمل حلال ، وأن تحتفظ بمالها ومكاسبها ، وأن ترث ، وتتصرف في مالها كما تشاء (سورة النساء ٤ و ٣٢) .

وقضى على ما اعتاده العرب في الجاهلية من انتقال النساء من الآباء إلى الأبناء فيما ينتقل لهم من متاع . وجعل نصيب الأنثى في الميراث نصف نصيب الذكر ، ومنع زواجهن بغير إرادتهن .

وفي القرآن آية يأخذها بعضهم حجة على حجب النساء وهي « **وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى** » (سورة الأحزب ٣٣) ، ولكن الآية

إنما تؤكد النهي عن التبرج ، و يروي أن النبي أجاز للنساء أن يخرجن لقضاء حوائجهن . أما زوجاته هو فقد طلب إلى أتباعه ألا يكلموهن إلا من وراء حجاب . وفيما عدا هذه القيود فإن نساء المسلمين كن يخرجن من البيوت بكامل حريتهن .

و بعد فإن المناخ من العوامل التي تؤثر في الأخلاق الفردية ، ولعل حرارة الجو في بلاد العرب كانت من أسباب تقوية الغريزة الجنسية والنضج المبكر ، ولهذا يجب التسامح بعض الشيء فيما نراه من نزعات الرجال في هذه الناحية في البلاد التي يطول فيها فصل الحر ــ ولقد كانت الشرائع الإسلامية تحرص على طلب العفة من الرجال والنساء قبل الزواج[١] ، وزيادة الفرص لإشباع الغريزة الجنسية بين الأزواج . ولهذا حتم القرآن الاستعفاف قبل الزواج (سورة النور ٣٣) وأوصى النبي بالصيام للاستعانة على هذا الاستعفاف .

و يشترط الدين الإسلامي رضاء الخطيبين لإتمام عقد الزواج ، فإذا تم هذا الرضاء بشهادة الشهود العدول وأدى العريس مهر عروسه ، كان ذلك كافياً لإتمام العقد سواء رضى بذلك آباء العروسين أو لم يرضوا الا في الابكار .

وقد أجيز للمسلم أن يتزوج مسيحية أو يهودية ولكنه حرم عليه أن يتزوج من وثنية أو مشركة . وعدم الزواج في الإسلام ، كما هو في الدين اليهودي ، إثم ، والزواج فيه فريضة محببة إلى الله (سورة النور ٣٢) .

---

(١) وحتمه بعد الزواج بطبيعة الحال ، وقوله تعالى « وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله » معناه ان على الذين لا يجدون الوسيلة المالية للزواج ان يصبروا حتى يرزقهم الله الغنى والقدرة على الزواج .

ولعل المؤلف يشير بقوله إن الشريعة الاسلامية تزيد الفرص لاشباع الغريزة الجنسية بين الازواج . الى اباحة الزواج بغير واحدة ، ولكن لهذه الاباحة أسباباً كثيرة ذكرها المؤلف نفسه في غير هذا الموضع .

وأجاز الإسلام تعدد الزوجات ليعوض بكثرة النسل نسبة الوفيات العالية بين الذكور والنساء على السواء ، ولطول فترة النفاس ، وما يحدث في البلاد الحارة من نقص سريع في قوة الإخصاب .

ولكنه حدد عدد الزوجات الشرعيات بحيث لا يزدن على أربع وان كان النبي نفسه قد تجاوز هذا العدد . وحرم الإسلام التسري (سورة المعارج ٢٩ و ٣١) .

وبعد أن تسامح الإسلام مع الرجل إلى هذا الحد فمكنه بتعدد الزوجات من إشباع غريزته الجنسية إشباعا حلالا حرم الزنى أشد التحريم ، فجعل عقوبة الزاني والزانية مائة جلدة (سورة النور) لكنه اشترط لتوقيع هذه العقوبة ثبوت الزنى بشهادة أربعة من الشهود .

ونهى القرآن فضلا عن هذا عن رمي المحصنات فقال « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا** » (سورة النور ٤) وقد قل الاتهام بالزنى بعد نزول هذه الآية .

وأباح القرآن الطلاق للرجل كما أباحه التلمود . وللمرأة أن تطلق نفسها من زوجها بأن ترد له صداقها (سورة البقرة ٢٢٩) ؛ لكن الإسلام وإن أجاز للزوج أن يطلق زوجته كما كان مباحاً له في أيام الجاهلية[١] ، فإن النبي لم يكن يشجع عليه و يروي عنه أنه قال إن « **أبغض الحلال إلى الله الطلاق** » . هذا إلى أن القرآن نفسه يحض على عدم قطع العلاقة الزوجية إلا بعد أن تبذل

---

(١) الصحيح في هذا انه لما كان الاسلام حريصاً على أن تكون العشرة بين الزوجين بالمعروف فان العشرة إن ساءت وأصبح من الخير لهما الانفصال كان ذلك بالطلاق برضاء الزوجين بلا مقابل أو بمقابل .

الجهود للإصلاح بين الزوجين « **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما** » (سورة النساء ٣٥) . ولا يصبح الطلاق نهائياً إلا بعد صدوره ثلاث مرات بين كل واحدة والأخرى شهر على الأقل ولكي يرغم الزوج على أن يطيل التفكير في إيمان الطلاق قبل صدورها ، فإن الإسلام لا يبيح بعد ذلك للرجل أن يرد مطلقته إلى عصمته إلا إذا تزوجت من رجل آخر ثم طلقت منه .

ولا يباح للزوج أن يقرب زوجته في المحيض وليس ذلك لأنها «نجسة» في ذلك الوقت ، وإن كان يطلب إليها أن تتطهر بعده قبل أن يقر بها زوجها .

والنساء حرث للرجال فلهم ان ياتوهن انى شاؤوا .. و ينبغي للزوجة أن تقر للزوج بتفوقه عليها ، ومن ثم أن تكون له عليها القوامة وحق الطاعة ، فإذا عصته كان له أن يهجرها (سورة النساء ٣٤) والمرأة التي تتوفى وزوجها راضٍ عنها تدخل الجنة[١] .

لكن ما فقدته النساء من حقوق قد نلن أكثر منه بفصاحة لسانهن ، ورقة قلوبهن ، ومفاتنهن ، شأنهن في هذا شأن النساء في العالم كله . وقد حدث مرة أن لام عمر بن الخطاب زوجته لأنها كلمته بلهجة رأي فيها شيئاً من قلة الاحترام ، فما كان منها إلا أن أكدت له أن هذه هي اللهجة التي تخاطب بها ابنته حفصة وغيرها من أزواج النبي رسول الله . فذهب عمرمن فوره ولام على ذلك حفصة وزوجة اخرى من أزواج النبي . فقيل له إن هذا ليس من شأنه

(١) دخول الجنة مشروط بفضل الله تعالى ، والعمل الصالح ، وقيام المرء بما عليه من حقوق لله ولبني الانسان ، ومن هؤلاء بلا ريب حق الزوج على زوجته ، وليس معنى هذا أن الزوجة التي تتوفى وزوجها راض عنها تدخل الجنة وإن لم تقم عليها من واجبات أخرى .

وخرج عمر غاضباً . وسمع النبي بهذا فأثار ضحكه .

وكان النزاع يقوم في بعض الاحيان بين النبي و بعض أزواجه كما يحدث عند غيره من المسلمين ، ولكنه كان على الدوام يعزهن ، و يظهر لهن ولغيرهن من النساء المسلمات ما يليق بهن من عواطف طيبة . و يروى عنه أنه قال إن المرأة الصالحة أثمن شيء في العالم . و يذكر الله الناس في القرآن مرتين بأن أمهاتهم حملنهم كرهاً ووضعنهم كرهاً وأرضعنهم أربعة وعشرين أو ثلاثين شهراً ، و يروى عن النبي أنه قال ، « **الجنة تحت أقدام الأمهات** » .

القرآن والدين والدولة

إن أعقد ما يلاقيه المصلح من المشاكل مشكلتان .

أولاهما ــ أن يجعل التعاون بين الناس محبوباً جذاباً .

والثانية ــ أن يحدد سعة الكل والجماعة التي يشير عليها بالتعاون الكامل .

والأخلاق المثالية تطلب المعاونة التامة بين كل جزء و بين كلّ كلّ ــ أي بين العالم أجمع وحياته الجوهرية ونظامه أي الله سبحانه وتعالى . وفي هذه الدرجة من التعاون يصبح الدين والأخلاق شيئاً واحداً ، لكن الأخلاق وليدة العادة وحفيدة القسر ، وهي لا تنمي التعاون إلا بين مجموعات مزودة بالقوة ، ومن أجل هذا كانت كل الأخلاق الواقعية أخلاقاً جماعية .

وقد تخطت القوانين الأخلاقية التي جاء الإسلام بها حدود القبيلة التي ولد النبي بين ظهرانيها ، ولكنها اقتصرت على الجماعة الدينية التي أنشأها . فلما تم له النصر في مكة وضع القيود على غارات النهب بين القبائل ، وأشعر بلاد العرب كلها ، أي أنه أشعر بلاد الإسلام كلها في ذلك الوقت ، معنى جديداً للوحدة ، ووضع لها أفقاً للتعاون والولاء أوسع مما عرفته من قبل « **إنما المؤمنون إخوة** » (سورة الحجرات ١٠) وقللت العقيدة المشتركة ما بين الطبقات والأجناس من فروق ، وذلك يقول النبي : « **اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة** » .

تلك بلا مراء عقيدة نبيلة سامية ألفت بين الأمم المتباينة المنتشرة في قارات الأرض فجعلت منها شعباً واحداً ، وهي لعمري أعظم معجزة للمسيحية والإسلام .

غير أن هذا الحب السامي الذي يدعو إليه الدينان يقابله الرفض لغير المؤمنين **« ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء »** ... **« إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم راكعون »** سورة المائدة ٥١ و ٥٥ **« ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان »** (سورة التوبة ٢٣) . لكن القرآن يأمر في آيات كثيرة بأن يسلك المسلمون جادة الاعتدال في الأخذ بهذه المبادىء فيقول **« لا إكراه في الدين »** **« فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا »** (سورة البقرة ١٣٧) **« وإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين »** (سورة النحل ٨٢) **« فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم »** (سورة هود ٥٧) **« فتول عنهم حتى حين ، وأبصرهم فسوف يبصرون »** (سورة الصافات ١٧٤ و ١٧٥) **« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه »** ، **« فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم »** (سورة التوبة ٥ و ٦) . ومن وصاياه لجيوشه ألا يقتلوا شيخاً عاجزاً عن القتال ، ولا طفلاً صغيراً ، ولا امرأة . وكان على كل مسلم سليم الجسم أن يشترك في الجهاد **« إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص »** (سورة الصف ٤) . ومن أحاديث النبي **« والذي نفس محمد بيده لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها »** و **« لمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة »** .

لكن هذه المبادىء الأخلاقية الحربية ليست في واقع الأمر تحريضاً على

القتال . « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** » (سورة البقرة ١٩٠) . وكان محمد يتبع قوانين الحرب التي كان يتبعها المسيحيون في أيامه و يشن الحرب على كفار قريش المسيطرين على مكة كما كان إربان الثاني Urban II فيما بعد يدعو إلى قتال المسلمين المسيطرين على بيت المقدس .

و يلوح أن الثغرة التي لا بد من وجودها بين النظريات المجردة والأفعال الواقعية كانت أضيق في الإسلام منها في سائر الأديان .

ثم ان الشريعة الإسلامية شديدة كل الشدة على من لا يتمسك من المسلمين بأصول الدين ، والذين يجهلون الإسلام هم وحدهم الذين يظنون أنه دين سهل من الوجهة الأخلاقية . « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » (سورة البقرة ١٩٤) « **ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل** » (سورة الشورى ٤١) ، تلك أخلاق تليق بالرجال ، شبيهة بما جاء في العهد القديم ، فهي تؤكد فضائل الرجولة . وليس في التاريخ دين غير دين الإسلام يدعو أتباعه على الدوام إلى أن يكونوا أقوياء ، ولم يفلح في هذه الدعوة دين آخر بقدر ما أفلح فيها الإسلام : « **ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا** » (سورة آل عمران ٢٠٠) .

والمسلمون يعظمون القرآن إلى درجة تقرب من العبادة ، وقد كتبوا المصاحف وزينوها و بذلوا في سبيل ذلك كل ما يستطيعون من عناية مدفوعين إليها بحبهم له ، وهو الكتاب الذي يبدأ منه أطفال المسلمين بتعلم القراءة ، وهو المحور الذي يدور عليه تعليمهم و الذروة التي ينتهي بها هذا التعليم . وقد ظل أربعة عشر قرناً من الزمان محفوظاً في ذاكرتهم ، يستثير خيالهم ، و يشكل

أخلاقهم ؛ و يشحذ قرائح مئات الملايين من الرجال .

والقرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد ، وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس ، وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية . وقد كان له أكبر الفضل في رفع مستوى المسلمين الأخلاقي والثقافي ، وهو الذي أقام فيهم قواعد النظام الاجتماعي والوحدة الاجتماعية ، وحضهم على اتباع القواعد الصحية ، وحرر عقولهم من كثير من الخرافات والأوهام ، ومن الظلم والقسوة ، وحسن أحوال الأرقاء ، و بعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة ، وأوجد بين المسلمين (إذا استثنينا ما كان يقترفه بعض الخلفاء المتأخرين) درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض .

ولقد علم الإسلام الناس أن يواجهوا صعاب الحياة ، و يتحملوا قيودها ، بلا شكوى ولا ملل ، و بعثهم في الوقت نفسه إلى التوسع توسعاً كان أعجب ما شهده التاريخ كله . وقد عرَّف الدين وحدده تحديداً لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (سورة البقرة الآية ١٧٧) .

صدر للعلامة السيد هادي المدرسي

التسلسل	اسم الكتاب	عدد الطبعات	الطبعة الاولى
١	الشهيد والثورة .	٤	١٩٧٨
٢	الف باء الاسلام .	٤	١٩٧١
٣	رسالة عاشوراء .	٢	١٩٨٤
٤	رسالة في ذكرى مولد النبي .	١	١٩٨١
٥	الرسالي بين خطوط الضغط وضغط الخطوط .	٣	١٩٨٢
٦	الرسالي في معادلات الصراع .	٤	١٩٨٢
٧	رسالة الى شعب البحرين .	٢	١٩٨٠
٨	رسالة الى المرأة المؤمنة .	٣	١٩٨٠
٩	رسالة اليكم .	٣	١٩٨١
١٠	رسالة الى الشباب المسلم .	١	١٩٨٠
١١	الدين حياة افضل .	٢	١٩٧٨
١٢	الدين لماذا .	٢	١٩٧٨
١٣	الدين هو الثورة .	٢	١٩٨٠
١٤	الصداقة والاصدقاء .	٣	١٩٨٣
١٥	ذلكم الامام المهدي .	٢	١٤٠٥
١٦	ذلكم الامام علي .	٣	١٩٧٧
١٧	رسالتنا في عصر البترول .	٢	١٩٧٨
١٨	حوار عن المرأة .	٢	١٩٨٠

١٩	حوار شامل	١	١٩٨٧	٤٠
٢٠	دروس من عاشوراء .	٣	١٩٨٤	٤١
٢١	دنيا بازيجه يهود .	٤	١٩٧٤	٤٢
٢٢	الامام علي قدوة الثائرين .	٢	١٩٧٨	٤٣
٢٣	الامة بين عوامل التقدم واسباب الانحطاط .	٣	١٩٧٨	٤٤
٢٤	التعرف على الاسلام .	٢	١٩٧٣	٤٥
٢٥	التقدمية الاسلامية .	٣	١٩٧٣	٤٦
٢٦	ثورة الامام الحسين .	٢	١٩٧٥	٤٧
٢٧	الثورة على الذات .	٣	١٩٧٣	٤٨
٢٨	جنود الله وجنود ابليس .	٢	١٩٨٣	٤٩
٢٩	الحديث عن الله .	٢	١٩٧٢	٥٠
٣٠	الحشيش قاتل الانسان .	٢	١٩٧٩	٥١
٣١	حوار ساخن مع الطرف الآخر .	٤	١٩٧٨	٥٢
٣٢	الاسلام ثورة من اجل الانسان .	٣	١٩٧٨	٥٣
٣٣	الاسلام خلاصنا .	٣	١٩٧٥	٥٤
٣٤	الاسلام دعامتان لا .. نعم .	٢	١٩٧٩	٥٥
٣٥	الاسلام في مواجهة الجاهلية .	١	١٩٧٥	٥٦
٣٦	الاسلام والايدلوجيات المناوئة الى اين .	٢	١٩٧٣	٥٧
٣٧	اسلام وزن مسؤول (فارسي) .	١	١٩٨٢	٥٨
٣٨	امامان .	١	١٩٧٤	٥٩
٣٩	الامام الحسين ثورة لا تنتهي .	٢	١٩٨٠	٦٠

٤٠	الامام الحسين رمز الايمان .	١	١٩٨٧
٤١	الامام الصادق في مواجهة الزيف .	١	١٩٨٤
٤٢	الامام علي ذلك العملاق المجهول .	٣	١٩٧٤
٤٣	الاختيار .	٢	١٩٨٢
٤٤	اساليب الطغاة في قهر الشعوب .	٢	١٩٨٠
٤٥	الاستقلالية الاسلامية .	٢	١٩٧٧
٤٦	اسلام الله ام اسلام الفراعنة .	٢	١٩٨١
٤٧	الاسلام أبداً .	٣	١٩٧٧
٤٨	هكذا يتحدى الفكر الاسلامي .	١	١٩٨٦
٤٩	كيف نواجه التحديات المضاعفة .	١	١٩٨٧
٥٠	يقتلون المرأة أليس كذلك .	٣	١٩٨٣
٥١	يوم الغدير مناسبة للتغيير .	١	١٩٨١
٥٢	رسالة المسلم انقاذ العالم .	١	١٩٨٦
٥٣	نقد النظرية الماركسية .	٣	١٩٧٧
٥٤	هذا الدين للقرن الواحد والعشرين .	٣	١٩٧٨
٥٥	الوجه الآخر للامام علي .	٢	١٩٧٨
٥٦	ياذاهبون الى الشهادة (شعر) .	١	١٩٨٥
٥٧	من اين نبدأ .	٢	١٩٨١
٥٨	مهرجان الحب والموت .	١	١٩٨٢
٥٩	مهمة الانبياء .	٢	١٩٧٥
٦٠	مواصفات المؤمن الملتزم .	١	١٩٨٢

٦١	الموت والحياة .	٢	١٩٧٩
٦٢	موعدكم الجنة .	٢	١٩٧٨
٦٣	المسلمون آباء العلم الحديث .	٣	١٩٧٨
٦٤	المعراج رحلة من عمق الفضاء والزمن .	٣	١٩٧١
٦٥	مقاطعة الطاغوت .	٢	١٩٨٠
٦٦	ملاحظة عن معادلات الحياة .	١	١٩٨١
٦٧	قال الاسلام قبل ذلك .	٢	١٩٧١
٦٨	عباد الله .	٣	١٩٧٧
٦٩	الكتابة في ضوء الليل .	١	١٩٧٣
٧٠	كلمة الاسلام عن المرأة .	١	١٩٧٨
٧١	كيف تسعد الحياة الزوجية .	٥	١٩٧٣
٧٢	كيف كنا ولماذا ؟	٣	١٩٧١
٧٣	لا للرأسمالية لا للماركسية نعم للاسلام .	٣	١٩٧٨
٧٤	لكي لا نموت مرتين .	٣	١٩٧٢
٧٥	ما هو الاسلام .	٢	١٩٧٣
٧٦	المرأة الرسالية .	٢	١٩٨١
٧٧	مسؤولية العلماء في عصر الظلمات .	٢	١٩٨٢
٧٨	عن التوبة والرحمة الالهية .	٤	١٩٨٢
٧٩	عن الثورة الاسلامية والمؤامرات عليها .	١	١٩٨٢
٨٠	فن التواضع .	٣	١٩٧٨
٨١	في العلاقات الزوجية .	٤	١٩٧٨
٨٢	عدالة الله .	٢	١٩٧٨

٨٣	عشرة اشياء عن الماركسية .	١	١٩٧٨
٨٤	عصر الشهادة .	٣	١٩٧٧
٨٥	العلم ام الدين .	٣	١٩٧٨
٨٦	عن الاسلام الثائر والتحرك المضاد .	٢	١٩٨١
٨٧	عناق الموت والبطولة .	٢	١٩٧٧
٨٨	عن الانسان والمادية الدارو ينية .	١	١٩٧٨
٨٩	الطاغية وحد السيف .	١	١٩٧٣
٩٠	طوفان الثورة الاسلامية .	١	١٩٧٩
٩١	كتاب عاشوراء .	٢	١٩٨٥
٩٢	العالم يبحث عن خلاص .	٢	١٩٧١
٩٣	عالم اليوم يعيش الجاهلية الاولى .	١	١٩٨٥
٩٤	رسالة الى الام المؤمنة .	٢	١٩٨٠
٩٥	رسالة الى الشعب اللبناني المسلم .	١	١٩٨٣
٩٦	رسالة الى الامين العام للامم المتحدة .	١	١٩٨٠
٩٧	الصراع والتحدي في حياة الرسالي .	٢	١٩٨٢
٩٨	نهج الكفاح .	٣	١٩٧٨
٩٩	الصراع الاسلامي ـ الاسرائيلي .	٣	١٩٧٨
١٠٠	هل نحن حسينيون .	٢	١٩٨٢
١٠١	صور متقابلة عن حضارتين متقابلتين .	٢	١٩٧٨
١٠٢	اقدم لكم جرحي (شعر) .	٢	١٩٧٣
١٠٣	دور البحرين في صدر الاسلام .	١	١٩٨٢

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٥	دعاء
٧	هدى من القرآن
٨	المقدمة
٩	حقائق
١٧	تساؤلات
٢١	لماذا يقدس المسلمون رسول الله ؟
٣٧	شيء ما عن اخلاق رسول الله
٤٠	الرفق بالناس
٤٢	الصدق وكراهية الكذب
٤٤	التعاون مع الصديق
٤٤	الرفق بالحيوان
٤٥	منع الفحش
٤٥	التوصية بالنساء

٤٦ حسن العهد
٤٦ الوفاء بالوعد
٤٦ الالتزام بالامانة
٤٨ الحياء
٤٨ رعي الاغنام
٤٩ الزهد في الدنيا
٥٢ الاحترام المتبادل
٥٣ الالتزام بآداب الطعام
٥٤ التعامل بالأخلاق
٥٨ التواضع
٦١ لا يُخجل احداً ولا يعاتب
٦١ شجاعة بلا حدود
٦٢ الايثار بالمال والنفس والأهلين
٦٣ الغضب لله
٦٤ الصبر وتحمل الاذى
٦٦ الدعاء والعبادة
٦٨ السخاء والكرم
٧٢ العفو عن الخاطئين

٧٤ قضاء حوائج الناس
٧٦ حب الخير
٧٦ الحلم الكبير
٧٧ العدالة مع الجميع
٧٨ مراعاة عواطف المؤمنين
٧٩ الانتصار للمستضعفين
٧٩ الظرافة المحدودة
٨٠ صفاته الجسدية

٨٣ ماذا في الكتاب ؟
٩٣ من هو المؤلف ؟
١٠١ من يقف وراء التهم وما هي جذور التهم ؟
١٠٧ الكتاب في الصحافة الدولية
١١٥ مواقف غير المسلمين
١٢١ ردود الفعل الاسلامية
١٣١ كيف يجب التصرف حيال هذا الكتاب ؟
١٣٥ موجز سيرة رسول الله
١٣٦ الجزيرة العربية

١٤٣ محمد في مكة

١٥١ محمد في المدينة

١٥٩ انتصار النبي

١٦٥ عقائد الاسلام

١٧١ القرآن والأخلاق

١٧٧ القرآن والدين والدولة

١٨١ صدر للعلامة السيد هادي المدرسي

COUNTERSTATEMENT
TO :
((The SATANIC VERSES))

DATE DUE	DATE DUE

New York University
31142014827128

COUNTERSTATEMENT TO : « The SATANIC VERSES »

PR
6068
.U757
S2835
1989
c.1

by

Hadi Al-Modarresi